20 me année No 1004

Le Caire 29 — 9 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ـــــــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ محرم سنة ١٣٧٢ — ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

تجلد يا قارون باشا !

لك الله يا مسكين ! لم تعد باشا بعد يوليو ، ولن تعود قارون بعد أكتوبر ! ذهب اللقب وضاع (الطين) ، فلا رأس يشمخ ولا لغد ينتفخ ! وخلا الدوار والإصطبل ، فلا ثور يخور ولا فرس يصهل ! وخوى القصر والديوان ، فلا حاجب يسعى ولا حاسب يحسب ! وخفت الصوت الراعد فلا (شخط ولا نطر) ، وخرس اللسان البذئ فلا نهر ولا قهر !

لم يبق لك من تراثك الفاحش الضخم ، إلا جسد بض ، وبطن شحيم ، ووجه جهم ، وذهن مغلق ، وحس مظلم ، وجهل مطبق ، وسمعة قبيحة ! وكانت هذه المزايا التى مالك الله بها مستورة بالطين فما كان يراها أحد . فلما كشفوا عنك غطاء الذهب ، واستردوا منك جلال اللقب ، بدوت فى شرفة القصر عاريا من زينة الجسد والروح ، كما بدا فاروق فى شاطئ كابرى عاريا من زينة الملك والإنسان !

أنا والله شامت بك يا قارون ! لطالما قرعت سمعك وسمع الأمير بزواجر النصح الخالص ، ولكنكما لم تكونا يومئذ تصدقان أن للناس ربا يمهل ولا يهمل ، وأن للعدل نورا يخبو ولا ينطفئ ، وأن للشعب وعيا يضعف ولا يموت ! وهاهوذا غضب الله يحل ، ونور العدالة يشرق ، ووعى الأمة يستيقظ ! فهل أغنى عنكم النضار الذى كنزتموه ، والعقار الذى حزتموه ؟ لقد أخذتكم صيحة الجيش بالحق ، فآمنتم لأول مرة أن الناس عبيد الله ، وأن الوطن ملك الجميع ، وأن الملك أحد الناس

أنا والله شامت بك وبأمثالك يا قارون ! كان لكل منكم حاشية كحاشية فاروق ، وزبانية كزبانية جهنم ! حاشية تحبب إليكم الفسق ، وتهون عليكم الإثم ، وتوفر لديكم المتاع . وزبانية يعقدون لكم دم الفلاح ذهبا ، ويحولون إليكم عرق الأجير فضة . ثم لا يشيرون عليكم أن تعملوا لعبيدكم ما يعمل الفلاح لمواشيه : يغذى البقرة لتحلب ، ويقوى الثور ليحرث !

لقد أصبحتم بكفرانكم لنعم الله ناسا من أقل الناس ، تذوق ألسنتكم الحلو والمر ، وتحس نفوسكم العز والذل ، وترجون الدستور كما نرجو ، وتخشون القانون كما نخشى . وستنسون من طول ما يلح البلاء وتفدح الأعباء ، أنكم كنتم من الطبقة التى أقامت نفسها بقوة المال وسطوة الحكم بين الله وبين عباده ، تملك الأمر والنهى ، وتعطى الحياة والموت ، وتضع يدها فى يد إبليس ، لتنقض ما أبرم الله ، وتفسد ما أصلح الدين

كنت يا قارون تكره العلم لأنك تحب الجهل ، وتوالى الظلم لأنك تعادى العدل ؛ فماذا تصنع اليوم وقد أصبحت محتاجا إلى العلم لتعمل ، ومفتقرا إلى العدل لتعيش ؟

إن فى مذكراتى وذكرياتى أفانين من مخازيك يا قارون ، لو نشرتها على أعين الناس لأنكروا أنك منهم ، وأشفقوا أن تعيش فيهم ؛ ولكنى أتأدب بقول الرسول الكريم : أكرموا عزيز قوم ذل ، وغنى قوم افتقر !

احمد حسن الزيات

رسالة المسجد فى ظلال النهضة الجديدة

للاستاذ محمد عبد الله السمان

أعتقد أن وزير الأوقاف فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى لم يقبل هذه الوزارة إلا وفى مخيلته رسالة إصلاحية يبغى تحقيقها ؛ وفى نفسه ثورة انقلابية يود إشعالها ، مستعينا على تحقيق رسالته وإشعال ثورته بنضارة شبابه وسداد رأيه وقوة عزمه ، ومستمدا التأييد من هذا العهد الجديد القائم على أسس ثابتة من الإصلاح

وأعتقد مرة أخرى أن وزير الأوقاف هذا ينال ثقة كبرى من شعب مصر على اختلاف أحزابه وهيآته . ولاسيما شباب الطليعة الذى يقدر ثقته، ويحسن الظن بها . وما أكثر مايئس الناس قبلا من إصلاح وزارة الأوقاف وفقدوا الأمل كله فى إنقاذها من أوحالها وأثقالها وأوزارها ! ولكن ما أكثر ماعلا الرجاء اليوم قلوبهم وما ينبعث الأمل فى نفوسهم ! واثقين كل الثقة من إصلاحها وإنقاذها على يد وزيرها الشاب الناهض الذى لايقر العجز ولايلين لليأس ولايؤمن بالتقهقر ، ولايرضى الفشل ثمرة لجهده الجبار الذى يهب له صحته وراحته

ونحن لايعنينا حل الوقف الأهلى، ولاتنظيم الوقف الخيرى، ولا وضع حد لفوضى الصدقات والخيرات . بقدر مايعنينا رسالة المسجد فى ظلال وثبة الجيش الجبارة ، والنهضة الجديدة المباركة ، وبرنامج الإصلاح الشامل المنشود ، لأن الوقف بنوعيه يهم فئة من الشعب ، ونظام الصدقات يجب ألا يكون من مقومات الأمة فى عهدها الجديد

أما المسجد فيخص الشعب بأسره، وهو ضرورى له ، لأننا نبغى بعثه من جديد، وتكوينه التكوين السليم، حتى تؤهله للوقوف بجانب الشعوب الناهضة الحية التى أبت إلا حياة العزة والكرامة والمهابة فكان لها ماأرادت .

كان المسجد فى ظلال العهود الإسلامية الأولى معبدا تؤدى فيه الشعائر، ومعهدا تدرس بين جدرانه شتى العلوم ومختلف الفنون، وندوة يروج تحت سقفه ألوان من الأدب المصفى ، وبرلمانا شعبيا تلتقى تحت قبته الآراء الحرة ، وترسم خطط النهضة، وبرامج الإصلاح، وكانت خطبة الجمعة بيانا شاملا عن سياسة الدولة وشؤونها وخطواتها، وكان أن نكبت البلاد الإسلامية بعدئذ بعهود جائرة حكمتها حكما إقطاعيا فاجرا أصاب بجوره وفساده أسلوب الحكم ؛ كما أصاب الشعب والعلم والأدب والفن حتى المسجد لم ينج من شره لأنه لم يكن يملك غير الشر ، ولم تنله رحمته ، لأنه لم يكن يملك ذرة واحدة من الرحمة

إن ذلك الحكم الإقطاعى الذى حكم بلاد المسلمين فى القرنين الأخيرين وقف بالمرصاد للمسجد لأنه البوتقة التى تصهر فيها قوى الشعوب ، وتتكون من بخارها الصيحات الجريئة، والآراء الحرة ، فعولت على أن تجعل منه مجرد معبد تؤدى فيه شعائر الدين ليس إلا، وتجعل من خطبة الجمعة منشورا دوريا ، يزهد المسلمين فى الحياة الدنيا وزينتها ، ويحذرهم مغبة التكالب على الثروة والجاه والسلطان ، ويذكرهم بسكرة الموت وظلمة القبر ، وهول الموقف ، ويروج بينهم للصبر والمصابرة ، والتسليم والمسالمة ، وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خشية الفتنة ، والغفلة عن ظلم الولاة وطغيان الحاكمين وجبروت السلطان حتى لا يموتوا ميتة جاهلية ....!

واليوم وقد وثبت مصر هذه الوثبة المباركة ، وبدأت تتحرك فوق أرض الكنانة قافلة الإصلاح فى غير توان أو تلكؤ ؛ يجب أن يعود للمسجد شأنه فتعود مكانته إلى قلوب الناس من جديد ، والمسجد الجديد يجب أن يشمل الإصلاح مكانه وإمامه ، فمتى وجد المسجد المنظم النظيف وجد الشعب نفسه منجذبا إليه يؤثر الصلاة تحت سقفه على الصلاة فى بيوته ، ومتى وجد الخطيب الحر اللبق القوى؛ وجد شباب الطليعة المثقف نفسه منجذبا إلى المسجد ليفيد من المعانى الإسلامية الحية التى تزيده ثقافة دينية فوق ثقافته العصرية

إن هناك مساجد ضخمة كبرى تهوى إليها الآلاف يوم الجمعة وما أن تسمع خطبة الجمعة من شيخ كهل لا يقوى على النطق فضلا عن الخطابة وهى لا تزيد على كلام مكرر ركيك ذى أسلوب معقد عقيم! ما أن تسمع مثل هذه الخطبة حتى ترتد عن المسجد ضيقة الصدر كئيبة النفس - وبجانب هذه المساجد الضخمة مساجد صغيرة أشبه بالزوايا، موزعة فى الأزقة والحارات والدروب، لا تشعر بالدنيا، ولا تشعر الدنيا بها! قد عين لها خطباء من الشباب الكفء القدير، القوى فى تفكيره وأسلوبه ومنطقه، فإذا كان الضرورى للعهد البائد المنقرض أن يبقى هذا الوضع الشائن ليضمن غفلة الشعب وغفوة الرأى الحر، فأى مبرر لأن يظل كما هو اليوم، ونحن فى ظلال حياة جديدة هى فى مسيس الحاجة إلى الشعب القوى ليكون دعامة لها وسياجا لبنائها

وهناك مسألة لها أهميتها، فالمعروف أن الدروس التى فى المساجد دينية محضة تشتمل فى معظم الأحيان على ألوان من التفسير والفقه والتوحيد والحديث ومزيج من القصص المصطنعة الركيكة، فلماذا لا يكون بجانب هذه الدروس ولاسيما فى المساجد الكبرى بالعواصم دروس أخرى فى السياسة والأدب والفلسفة والتاريخ والاجتماع وغير ذلك، وتشرف الوزارة على اختيار المدرسين - بشرط أن يتطوعوا للمساجد المشهورة، وتترك للأئمة فى المساجد الأخرى حرية الاستعانة بمن يشاءون، وبذلك نضمن روادا للمساجد من الطليعة الناضجة شبابا وكهولا، ونخطو بالمسجد خطوة موفقة نحو المكانة التى تليق ببيوت الله . . ؟

هذه همسات خفيفة نرجو أن تصغى لها أذن وزير الأوقاف الموثوق بكفاءته وإخلاصه لرسالته - والله الموفق

محمد عبد الله السمان

العلم والمـــــال

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

ليس للعلم فى ذاته قيمة، وليس للمال كذلك فى ذاته قيمة، وإنما تتغير قيمة كل منهما بالنسبة للآخر، حتى إذا تبدلت ظروف أحدهما فارتفع أو انخفض، ارتفع الآخر أو انخفض تبعا لذلك

وقد كان للعلم فى العهد السابق على الانقلاب الأخير قيمة معينة بالنسبة للظروف الاجتماعية السائدة حينذاك، والتى كانت تخضع إلى حد كبير إلى عامل أساسى عظيم الأثر هو المال. فقد كانت الثروة هى المقياس لجميع الأشياء، حتى إذا تبين للناس أنها المحرك الأول فى الحياة، وأنها هى التى تجلب حاجات المعيشة، ووسائل الرفاهية، وأسباب اللهو والزينة، مما كان فتنة الناس وقبلتهم، أقبلوا على المال يقتنونه بشتى الوسائل، شريفة كانت أم غير شريفة، لا يحفلون فى سبيل ذلك بشئ، حتى لقد أخضعوا العلم نفسه للمال، فأصبح يباع ويشترى، وتطرق إلى بيعه وشرائه أسباب الفساد والرشوة والمحسوبية، كما تطرق الفساد والرشوة والمحسوبية فى كل شئ آخر فى الحياة

فإن قلت: وهل يخضع العلم للمال؟ وكيف كان ذلك؟ قلنا: ألم يبلغك نبأ المعلمين الذين يحملون العلم ويتجه إليهم الطلاب يلتمسون عندهم هذه البضاعة، كيف انغمسوا إلى الأذقان فى «الدروس الخاصة» يزعمون أنها أجر على التعليم، وحددوا للساعة أجراً أخذ يرتفع إلى أن بلغ قيمة لا يطيقها أوساط الناس وأصبحت ترهق ميزانياتهم. ولم تكن بدعة الدروس الخاصة معروفة من قبل، اللهم إلا فى نطاق شديد الضيق، لأن المعلمين كانوا يقومون بمهنتهم خير قيام، ويؤدونها أحسن أداء، ويكفيهم فى ذلك أن الدولة قد تعهدت بمعاشهم، وأعطتهم الرواتب للقيام بهذا العمل وتنفيذه. وقد شاعت هذه البدعة حتى بلغت أسوار الجامعة واقتحمتها وأصبحت شيئا مألوفا فى معظم كلياتها. وهذا أعظم باب من أبواب الفساد

ولم يقنع المعلمون بالأجر يأخذونه على الدروس الخاصة، فتهافتوا فى جميع أنواع التعاليم على تأليف كتب يتجرون فى بيعها، ويفرضونها فرضا على الطلاب، سواء أكان ذلك فى مدارس الروضة أم فى المدارس الابتدائية والثانوية، أم فى كليات

الجامعة . وهذا باب آخر من أبواب الفساد

وهيأ الجشع لبعض المعلمين أن يتجروا فى الامتحانات ، فيهبونها لمن لا يستحق فى نظير مبلغ معلوم ، وفاحت رائحة تزكم الأنوف ، وضبطت حوادث كثيرة من هذا القبيل . وهذا باب ثالث من أبواب الفساد

جملة القول : هبطت قيمة العلم بالإضافة إلى المـال ، وتلوثت أيضا أقدار العلماء والمعلمين ، وهم حملة راية العلم ، وأصبحنا نجد رجالا لا يمتون إلى العلم الصحيح بصلة يتصدرون المجالس ويتبوءون أرفع المناصب ، ويتحكمون فى المصائر ، ويحكمون على غيرهم، وهم أبعد ما يكون عن المعرفة وعن صفات العلماء

والآن وقد قام الانقلاب على هدم أقدار الناس الذين يعتمدون على المال فقط ، ومن أجل ذلك أصر الموجهون للثورة على تحديد الملكية ، فلا غرابة أن تتغير قيمة العلم ومنزلة العلماء مع تغير قيمة المـال

وما دامت الثروة قد أوشكت أن تفقد ما كان لها من سلطان ونفوذ وسحر وأثر فى النفوس ، فسوف يقضى على ألوان الفساد الذى تطرق إلى أبواب العلم

والموقف الذى تقفه مصر اليوم هو أشبه شئ بما كان يجرى فى اليونان فى القرن الخامس قبل الميلاد ، حين تفشت الديمقراطية وهى حكم الشعب ، ثم فسدت هذه الديمقراطية ، وانتشرت طائفة من الفلاسفة والمعلمين يعرفون باسم السفسطائيين ، يعلمون الناس الخطابة والبيان لحاجتهم إلى هذه الأسلحة فى المجالس النيابية . ولكنهم كانوا يتناولون أجورا باهظة على التعليم ، ولم يكن غرضهم العلم لذاته ؛ بل تعليم الخصم كيف يتغلب على خصمه بالحجة باطلة كانت أم صحيحة

فما أشبه العهد السابق بعصر السفسطائيين !

فلما جاء سقراط كان أول همه أن يكافح تلك الجماعة ، فكان يقوم بالتعليم دون أجر ، مع أنه كان فقيرا ، يمشى فى الأسواق حافى القدمين . وعلى الرغم من صلته بكثير من الأغنياء كان يرفض أن يمد يده إليهم

ثم كان ينشد فى تعليمه الحق الخالص ، لا يبغى تزييفا أو نفعا أو شهرة أو تغلبا على خصم . ولذلك سخط السفسطائيون عليه ، ودبروا له المحاكمة المشهورة فى التاريخ ، والتى انتهت بالحكم عليه بالإعدام . ولكن الروح التى بثها سقراط هى التى أثمرت وسرت ونجحت ، فكان أفلاطون ثمرتها ، ثم أرسطو من بعده ، واستتبت قواعد العلم على أسس صحيحة بعيدة عن السفسطة

وجدير بمصر اليوم أن تكافح جماعة السفسطائيين الذين ألبسوا الباطل أثواب الحق ، ونشروا أسباب الفساد ، وهبطوا بالعلم والتعليم دوجات ودرجات

فلا أجر على التعليم إلا ما تدفعه الدولة

ولا تجارة فى الكتب

ولا مساومة على الامتحانات

ولم تكن هذه المفاسد كلها مجهولة فى السنوات الماضية ، فقد كتب كثير من أحرار المفكرين فى الصحف ينادون بمكافحتها والقضاء عليها ، واجتهد بعض وزراء المعارف أن يلتمسوا لها حلا فأمروا بمنع إعطاء الدروس الخاصة ، وأصدروا المنشورات التى تحرم على المعلمين القيام بها . فكانت تلك المنشورات حبرا على ورق ، وظلت تجارة الدروس شائعة رائجة

ولجأ بعض الوزراء إلى إلغاء الامتحانات أصلا ، ونقل التلاميذ من عام دراسى إلى عام آخر بمجرد الحضور ، واكتفاء بتقارير المدرسين . ولم يحل هذا الإجراء المشكلة، بل زادها تعقيداً على تعقيد

ولم يكن من الميسور ولا من المعقول أن تصلح حال العلم والتعليم فى وسط موبوء ، كله مفاسد وشرور ومحسوبية وشذوذ، ولذلك كان طلب الإصلاح فى تلك الظروف من المحال

فلما اجتثت الرأس الفاسدة ، والحاشية التى كانت تبث الفساد فى كل ركن من أركان الحياة ، لأن معظم أفرادها من العامة بل وسفلة القوم ، ونحن نعنى ذلك لأن الحاشية كانت من الخدم ! ويحضرنى بهذه المناسبة وصية لابن سينا فى تعليم الرجل أبناءه : هى «ألا يتركهم فى أيدى الخدم حتى لا يتطرق إليهم الفساد، ولا يتخلق بأخلاقهم » نقول لقد مضى عهد الخدم الجهال الذين كانوا يتصدرون الدولة ويعدون بحكم مناصبهم قدوة لغيرهم ، وأصبح الطريق مفتوحاً لمن يتصف بخصلتين أساسيتين هما : العلم

عبد الله بن الحسين وعباس الثانى

للأستاذ أحمد رمزى

بقية ما نشر فى العدد ٩٤٨ — ٣ سبتمبر ١٩٥١

كتب عبد الله بن الحسين مذكراته وطبعها فى لندن وجاء فى نسخة بالإنجليزية وقعت ليدى ، اطلعت فيها على الفصل العاشر المسمى «الحرب» ، وكانت إحدى المجلات الأسبوعية قد نشرت قسما منه فى مصر نقلا عن الصفحة ١٢٨ جاء فيه « لقد زارنى الخديو عباس فى عمان وكان ذلك إبان حكم الملك فؤاد الأول لمصر وقال لى الخديو « هذا هو القدر وأنا غير نادم على شئ ، لقد تعبت بعد أن حكمت ٢٥ سنة كاملة وأن عمى الملك فؤاد الذى يحكم مصر الآن يعانى ما كنت أعانيه — إن من الصعب أن ترضى شعبنا — الشعب المصرى — ومن الصعب أن ننتهى الاحتلال البريطانى لأن الإنجليز أقوى منا بحيث لا نستطيع طردهم » ثم قال لى الخديو بصوت حزين « إن الشئ الوحيد الذى أنا آسف عليه فعلا هو أنى أعيش بعيدا عن البلاد الإسلامية فلا أستطيع أن أرى مآذن المساجد أو أسمع الأذان للصلاة منبعثا منها ، إنى أخاف أن أموت بعيدا عنها وأن أدفن فى أرض غريبة

ولما اطلعت فى الأصل الإنجليزى على هذه الفقرة بالذات عادت إلى ذكريات الحوادث والأيام التى عشتها بمدينة القدس بين سنة ١٩٣٥ ، ١٩٣٧ فقد حضرت طرفاً من هذا الموضوع الذى أثاره عبد الله بن الحسين وكان لى معه حديث فيه ، كما أننى دعيت إلى حفلة أقامها الخديو السابق ، ولما استأذنت الحكومة فى حضورها جاءتنى برقية غريبة تقول بادعاء المرض والتزام الفراش فى نفس الوقت الذى كنت مقيما فيه بالفندق الذى نزل فيه الخديو السابق

إن حوادث هذه الأيام تقع فى شهر يناير سنة ١٩٣٦ ومقابلة

والخلق ، وذهب إلى غير رجعة من يسلك الطريق بالمال

غير أن انهيار أصحاب المال لا يكفى وحده فى إصلاح الحال ؛ فأنت تعرف ولا ريب سلطان المادة على النفوس . وقد درج الكثيرون فيما سبق على كسب المال من طريق العلم والاتجار فيه ، وتزييف الكتب ودفعها إلى السوق ، متسترين باسم الألقاب العلمية التى حصلوا عليها بأسباب غير شريفة . وهؤلاء وأولئك لن يعفوا عن باب اعتادوه وكان يدر عليهم الذهب . وسوف يكون موقفهم كموقف الأحزاب السياسية التى رفضت الدعوة إلى التطهير حتى أرغمت عليه

لذلك نحن فى حاجة إلى تطهير جبهة العلم من الأدعياء السفسطائيين بحركة جريئة تجتث الرؤوس الفاسدة ، وقد تعفنت من الفساد ، ولا يرجى معها إصلاح

إن قوة الأمة تقاس بانتشار العلم الصحيح بين أبنائها ، لا بمقدار ما تملكه أفرادها من مال . وجدير بمصر وهى فى فجر ثورتها أن تسول على الطريق الجدى الموصل حقا إلى تقويتها ، وهو العلم . ولن يتيسر ذلك إلا بإصلاح هيئات التعليم ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالعمل الخالص لوجه العلم والابتعاد عن فتنة المال كما كان الحال فى صدر الإسلام ، حين كان العلماء يقومون بتعليم الناس حسبة لوجه الله ، لا يتناولون على تعليمهم أجرا . بل إن فقهاء الدين أصحاب المذاهب كأبى حنيفة وابن حنبل ، لم يعرف عنهم التكسب بالفقه ، بل كان للواحد منهم صناعة يعتمد فيها على معاشه ، مثل أبى حنيفة الذى كان بزازا

فأين علماء اليوم من علماء الأمس ؟

عاش علماء الأمس فقراء طول حياتهم ، فخلد اسمهم على الزمان ، وظلت آثارهم باقية حتى اليوم ، وتنعم علماء اليوم فى رغد من العيش وفيض من الثروة ، فقتلوا أنفسهم ، وقتلوا أمتهم معهم

فليبتعد العلماء عن فتنة المال حتى ينزهوا العلم عن الشوائب ، وحتى يكونوا قدوة صالحة للطلاب ، وعاملا فى بناء مجد مصر

ليبتعدوا عن هذا كله قبل أن تمتد إليهم يد الثورة فتحرقهم

أحمد فؤاد الأهوانى

الخديو عباس مع عبد الله بن الحسين تقع فى شهر رمضــان ، أما الدعوة إلى حضور مأدبة الخديو السابق فقد كان محددا لها يوم ١٩ فبراير سنة ١٩٣٦

ولنشرح ما جاء فى تلك الأيام عدت إلى مذكراتى فى تلك الفترة بالذات التى حضر فيها الخديو الســابق إلى مدينة القدس ونزل فى فندق الملك داود (كنج دافيد) وقام بزيارة القنصليــة المصرية وطلب إلى بعد تقديم القهوة له أن يرى المكاتب وطريقة العمل فيها . فرافقته فى زيارته وقدمت إليه الموظفين ، واحدا واحدا ، وكان السرور باديا على وجهه لأنه بعد سـنوات طويلة اتصل لأول مرة بعد اعـتزاله الحكم بمكتب مصرى رسمى تابع للحكومة المصرية التى بقى على رأسها اثنين وعشرين عاما

وقد لاحظت بعد وصوله كثرة عـدد الرواد المصريين فى فلسطين ولكل منهم وجهته الخاصة وكانت آمالهم تتجه إلى تنسم أخباره، وكان من بينهم من يعرف جيدا كيف يستغلون الخديو السابق ويحصلون على أمواله ، وكان منهم من أتقن طريقة استغلال مصر لمنفعتهم والقيام برحلات على حســاب المصاريف السرية للتمتع برؤية فلسطين

وكانوا يحضرون إلى القنصلية للتحية ، ويكفى الحديث معهم عدة دقائق لتفهم الوضع الصحيح لعواطفهم واتجاهاتهم، فقد زارنى كثيرون من رجال السياسة والأعيــان وأهل الرأى ورجال الصحافة . أذكر من ذلك تصريح أحـد الصحفيين المعروفين الآن بقوله لى « إن إحدى الجرائد المصرية المشهورة لم تكن على وفاق تام مع السراى الملكية، وأنه وفق بناء على جهوده إلى إزالة هذا البرود وذلك حينما أقنع صاحب هذه الجريدة بأن يطبع عددا ممتازا خاصا بأعمال فؤاد الأول فى المدة التى حكم فيها » صرح بهذا لى فى الوقت الذى كان دائم الاتصــال بالخديو السابق ويعمل لحسابه ...

وكان عباس حلمى الثانى يتبع نظاما خاصا للأكل، ولذا اعتاد الحضور إلى الفندق فى الساعة السابعة مساء لتناول العشاء ، وكان ينتهى منه فى الساعة الثـامنة وهو الوقت الذى أدخل فيه قاعة الطعام . فكان يتفضل بتحيتى ويدعونى للجلوس معه فى ردهة الفندق وهناك يجتمع حوله الزوار المصريون فتأتيه أنباء المفاوضات القائمة بمصر بقصر الزعفران وما تم فى الجلسات من المناقشات وما تبودل من الرأى فيها ، وكان يعلق على ذلك جميعه بأسـلوب الرجل المتمكن فهمه لتطور سـياسة بلاده وعلاقتها بتطور السياسة العالمية

وفى بعض الأحيان كان يحضر المجلس المرحوم سليمان فوزى فيحدث كيف كان أحـد الذين ضربوا بالمسجد الأقصى عند اجتماع المؤتمر الإسـلامى الذى عقد هناك فأثار ضحك المجلس بأسلوبه الفكه النادر

وفى ليلة من الليالى بعد انصراف الخديو السـابق التفت إلى أحد المشتغلين بالسياسة فى مصر ووجه حديثه إلى قائلا « لا تنسنا يا رمزى فى تقاريرك التى سترسلها حتما عما دار فى هذه الجلسة من أحاديثنا» وهنا جمد الدم فى عروقى ورددت عليه بقولى : «إن لحكومة مصر ألف وسيلة لكى تعلم ما دار فى هـذا المجلس من الأحاديث وهى لا شك ستعلم ما دار هنا ، أما أنا فلا أجد فيها من الأهمية والخطورة مايصح أن تعلق مصر أهمية عليه ؛ ولكنى أذكر جيدا كيف اجتمع البعض فى تركيا وقابلوا الخديو الذى كان جالسا معنا منذ لحظة : وحينما انصرف وانفض الجمع بادر كل واحد لتقديم تقرير هزيل عما تم فى هـذه المقابلة وما تحدث به إخوانه وأصحابه » واستأذنت للذهاب إلى حجرتى

* * *

وإنى لأعجب لهؤلاء الذين يلازمهم الغرور ، ويدعون العلم بالسياسة ويتظاهرون بانتقاء الأخبـار والتقرب زلفى إلى ذوى السلطان ، ويتنقلون بين مختلف الأحزاب والهيئات ، كيف كانوا يعيشون ويحلمون فى وقت دائم الحركة والعمل والإنشاء

وقد ملأ الأسى نفسى لـما فكرت فى هؤلاء النكرات وأنا أقلب صفحات مذكراتى عن تلك الأيام فوقع نظرى على ما كتبته فى يوم ٤ فبراير ١٩٣٦

« حضر إلى إدوارد صمويل نجل هربرت صمويل المندوب البريطانى الأسبق فى فلسطين ، وهو يشغل وظيفة وكيل مصلحة المهاجرة بحكومة الانتداب ... فقال لى

« إن الصحـافة المصرية تصل بانتظام كل يوم إلى فلسطين أى فى اليوم الذى تصدر فيه بالقاهرة ، ولها تأثير غريب فى عقلية

أهل البلاد العرب فهى تلهب حماسهم وتجعلهم يفتحون أنظارهم كل صباح على أحوال العالم الخارجية والاتصال بتطورها » ، وقال « إنه علم بأن الوزارة المصرية الجديدة أقدر من سابقتها على فهم مركز مصر الدولى »

ثم أردف بقوله « إن مركز قنصلية مصر هنا هـام لـكثرة المصريين المهاجرين إلى فلسطين ولـكثرة أعمالها واتصالها بالهيئات الرسمية وغير الرسمية (يقصد الوكالة اليهودية والهيئات العربية) ولـكن حكومة مصر لا ترسل إلى هـذا المكان إلا من كان مغضوبا عليه فى بلاده » وهنا قاطعته وقلت « أنت مخطئ فى هذه الناحية لأننى كنت أشغل وظيفة أقل من هذه ثم رقيت إليها » قال : « أقصد أن حكومة مصر لا تقدر هـذا المركز تماما ولا تعلق عليه ما يستحق من أهمية . وقد سمعت من الـكثيرين من رجالـكم الرسميين وغـيرهم من أن القناصل المتقـدمين فى السن والذين لا يصلحون فى شئ هم الذين يرسلون إلى القدس »

ثم صرح بما يأتى « إن شرق الأردن تحسد فلسطين على حالة الرواج فيها ، وأهل فلسطين يحسـدون مصر لأنها بلاد من أغنى بلاد الأرض وبشكل لا يتصوره أحد منكم . ويظهر أن الحـكومة المصرية ورجالها الرسميين لا يقدرون هذا وكانت كلمته بالإنجليزية»

It seems that Egyptians do not realise it

فى الوقت الذى يتحـدث فيه ابن هربرت صموبل وهو بريطانى يهودى عن هذه الأمور الهامة التى ذكرتها وعن إمكانيات مصر التى لا يمكن تحديدها من ناحية الثروة والانتعاش والتنمية الاقتصادية ويظهر قلقه من أثر الصحافة المصرية فى نهضـة الشعوب العربية كان جماعاتنا من المصريين يفكرون فى نقل حديث عن بعضهم أو يظهرون أهميتهم فى التقريب بين صحـيفة يومية ورجال الحاشية بإخراج عدد ممتاز عن أعمال الملك السابق فؤاد الأول

فى غمرات هـذه الحوادث تلقيت الدعوة التى أشرت إليها لحضور المأدبة التى أقامها الخديو السابق فى فندق أريحا ودعا إليها المندوب السامى البريطانى وعبد الله بن الحسين وطائفة من رجال حكومة الانتداب وحـكومة شرق الأردن ، ولا شك فى أن حضور ممثل مصر فى تلك المـأدبة كان لازما إن لم يكن لإعطاء صورة واضحة عما دار فى تلك المأدبة فعلى الأقل لإظهار أن ما تم الاتفاق عليه بين العرش والخديو السابق كان جديا ولا أثر لبقاء أى اختلاف بين الجالس على العرش وابن أخيه

ولـكن تلقيت ردا على برقيتى التى أرسلتهـا إلى الخارجية أدهشنى غاية الدهشة ، وهو الذى يقول « الزم حجرتك وادع المرض » ؛ وكان عبد الله البشرى فى معية الخديو السابق ، يتصل بى كل يوم لمعرفة رأيى فى قبول الدعوة أو رفضها . فلمـا علمت بمضمون هذه البرقية الرمزية لم أجد مناصا من الاعتذار ، ولـكن الأسلوب الذى فرض على أن أعتذر به لم يقنعنى . . وفى صباح اليوم التالى وهو يوم ١٨ فبراير نشرت الصحف خبر زوبعة ترتب عليها فقدان عدد من مراكب الصيد المصرية على شواطئ فلسطين ، وأن بعض البحارة وصل إلى الموانئ فى غزة ويافا ؛ فانتهزت فرصة هذا النبأ ، واتخذته مبررا لتغيبى عن القدس واعتذارى عن قبولى دعوة الخديو السابق . وكنت تلقيت فى نفس اليوم دعوة من راغب النشاشيبى عن حفلة شاى أقامها فى منزله للخديو السابق ؛ فبدأت بالاعتذار عنها لاضطرارى للسفر ثم اعتذرت عن مأدبة الخديو السابق فى اليوم التالى

ونشرت صحف يافا خبر وصولى لتتبع حوادث مراكب الصيد المصرية التى تعرضت للخطر بعـد الزوبعة التى هبت فى البحر الأبيض المتوسط ؛ وفعلا ذهبت إلى يافا وتنقلت منهـا إلى غزة وما حولها

وبعد ثلاثة أيام عدت إلى مدينة القدس . ولمـا قابلنى الخديو السابق ابتسم ، فقد كان يعلم عن أساليب الحـكومة المصرية فى أيامه وبعد عهده أكثر مما أعلم ، وإن كان أقرنى على الطريقة التى اتبعتها

كان اتصالى بحكومة شرق الأردن دائما وباستمرار ؛ ولمـا اقترب شهر رمضان وكنت فى ذلك الوقت أتم صيامه كاملا سواء كنت فى الشرق أو فى الغرب ، رأيت من واجبى أن أذهب إلى عمان وأهنئ عبد الله بن الحسين بحلول هذا الشهر المبارك وأعلمه بأننى سأقضيه فى مدينة القدس ، ولن أحضر لزيارته قبل حلول عيد الفطر لأقوم بواجب التبريك

قمت مبكرا على نية قضاء ليلة بعمان ، أرتب فيها موعدا للمقابلة

ثم أعود في اليوم الثاني ، وكانت دهشتي عظيمة حينما دخلت حجرتي فأعلمت بأن الشريف جميل ناصر رئيس الديوان والسيد الخطيب مستشار الأمير ينتظرانني بحجرة الاستقبال ، فنزلت لمقابلتهما حيث أخبرني الأول بأن الأمير يدعوني لتناول الغداء معه ، وأنه في شدة الاشتياق لرؤيتي ولا يقبل أي اعتذار للتخلف عن هذه الدعوة . فطلبت منهما إمهالي لتغيير ملابسي ثم ذهبت برفقتهما إلى قصر الإمارة ، حيث استقبلت استقبالا كما يقول الأتراك (فوق العادة) ورافقني في الدخول إلى الأمير ضابط مصري اسمه خاطر ، كان يعمل في الجيش الأردني ، التحق به بعد ترك خدمة الجيش المصري في السودان وحضر هذه المأدبة الأمراء أنجال عبد الله بن الحسين ، والشريف جميل ناصر والد الملكة زين ومستشار الأمير وغيرهم ، ولم يدر في المأدبة حديث خاص ، وعند انتهائها أخذني عبد الله بن الحسين ، فسرت برفقته إلى حجرة الاستقبال الكبرى حيث أجلسني على يمينه وأقفلت الأبواب وراءنا

قال بلهجته العربية الحجازية « إنه جد حريص على علاقات المودة والصداقة التي تربطه بالعائلة المالكة في مصر ، وعلى رأسها فؤاد الأول وهو لا ينسى ما غمره به محمد علي مؤسسها من الإنعام على عائلة الشريف بما مقداره خمسة آلاف فدان من أراضي مصر وهو في تصرفاته وأعماله يرغب رغبة أكيدة في أن يكون محل رضا الجالس على عرش مصر ... »

« بل هو يؤمل في ألا تفسر دعوته الخديو السابق إلى عمان تفسيرا يسيء إلى العلاقات القائمة بين البيتين العلوي والهاشمي؛ وأما الخديو السابق فرجل قد انتهت أطماعه ، ولم يعد يرغب في شيء من مظاهر هذه الدنيا ، وأنه أبدى لعبد الله بن الحسين رغبته في أن يرى بلدا إسلاميا في شهر رمضان ، بعد أن أمضى السنوات الطوال بعيدا عما تعود أن يراه في شهر رمضان من سماع الأذان والدعوة إلى الإفطار ، وفرح الشعب بحلول شهر الصوم ، ولذلك دعاه عبد الله بن الحسين إلى تناول طعام الإفطار لديه ، وليس في ذلك أية رغبة لإحراج مصر وحكومتها ، وإنما هو أداء لواجب صداقة وعلاقة قديمة »

ولقد دهشت لكل ما سلف ، فأنا لا أعلم بهذه الدعوة ، ولم أحضر للاحتجاج عليها ، ولا أدري ماذا دار في خلد عبد الله ابن الحسين ولا في خلد الخديو السابق ، ولا في فكر رجال الانتداب البريطانيين في فلسطين وشرق الأردن ، وإنما جئت مهنئا بحلول شهر الصوم ، جئت مهنئا الجالس على عرش شرق الأردن بحلول هذا الشهر المبارك، ولم أجد شيئا أقوله سوى أن صارحته بما جئت من أجله ، وأنكرت عليه أنني لا أعلم شيئا ، ولا أدري هل صدقني عبد الله بن الحسين في ذلك أم اعتبر مصارحتي له نوعا من السياسة الملتوية والدبلوماسية الشرقية التي اعتاد عليها رجال الشرق في مواجهتهم للأمور واهتمامهم بالصغائر

والحقيقة التي أعلمها عن عبد الله بن الحسين رحمه الله ، وعن المرحوم عباس الثاني ، أنهما كغيرهما ممن أسندت إليهم الشؤون العامة والسيطرة على أجزاء من أقطار الشرق ، يتلهفون لمعرفة أخبار الناس وتتبعها ؛ وأذكر على سبيل المثال اليوم الذي جاء فيه أحد رجال سوريا الذين تنقلت بهم الأيام بين خدمة عبد الله بن الحسين والحكومة السعودية وقبل ذلك حكومة سوريا ، وكيف تقرب من مجلس الأمير بمجموعة من الأخبار التي أتى بها من الحجاز عن أبناء الملك ابن السعود وتصرفات الأمراء أبنائه

وأذكر جلسة مع عبد الله بن الحسين ، والتليفون لا ينقطع ينقل أخبار سيارة المندوب البريطاني بين جسر بنات يعقوب وأربد واتجاهها إلى جسر المجامع . .

إن اهتمام رجال الحكم في الشرق بتتبع أخبار بعضهم بعضا في الوقت الذي كانت الوكالة اليهودية تنشئ وطنا قوميا على أسس ثابتة ، أمر أصبح الآن ظاهرا واضحا للعيان ..

إن الحياة كانت تدب في فلسطين تحت معول الحضارة الحديثة بينما كنا نحن نغط في نوم عميق وسبات لا نهاية له ، حتى تنبه الشرق تحت ضربات النكبات والمزائم والأرزاء

أحمد رمزي

المدير العام لمصلحة الاقتصاد الدولي

الاتجاهات الحديثة
فى الثقافة الأوردية

للدكتور عمر حليق

لعل أبرز الظواهر فى حاضر الحياة الفكرية فى الباكستان هو المكوف عن التقليد الأعمى والانسياق التام فى تيارات الثقافة الغربية التى كانت تهيمن على الحياة العقلية فى القارة الهندية قبل تقسيمها إلى هند وباكستان

وجدير بالذكر أن أثر الثقافة الغربية مع الإنتاج الفكرى فى القارة الهندية لم يكن فى جملته سيئ النتائج . فقد أولد هذا الأثر اتجاها ملحوظا لتوجيه الحياة العقلية هناك على أساس مناهج البحث العلمى الحديث . بحيث أخذ إنتاج الهند والباكستان يتميز بطابع الدقة وعمق الفكرة التى يلمسها كل من أتيح له الاطلاع على البحوث القيمة (١) التى عالجت مشاكل الساعة سواء فى الدراسات العلمية للتراث الإسلامى والهندوس أو فى الشعر والنثر الأوردى ، أو فى الإنتاج الفنى الذى أخذ ينمو هناك نموا سليما

ولكن الظاهرة الفريدة فى حاضر الثقافة الأوردية هى انفراد حفظة الثقافة فى الباكستان — إثر ميلاد هذه الدولة الإسلامية — فى المكوف عن جمل الحياة العقلية والأدبية والفنية هناك صورة مشوهة للثقافة الغربية ومدى سطحى العمق للتيارات الأدبية والفنية التى تتسرب إلى حاضر الثقافات الآسيوية من أوربا والعالم الجديد

قد شعر حفظة الثقافة الأوردية فى الباكستان أن الانسياق فى التغذى بالصورة المتوهمة للثقافة الغربية قد أخذ يولد فى الأوساط الثقافية هناك لونا من التشويش قد يؤدى إلى توجيه الحياة الفكرية فى هذه الدولة الجديدة على نمط لا يتمشى مع روائع المجتمع الباكستانى وتراثه الإسلامى وقضاياه السياسية ومشاكله الاقتصادية والاجتماعية

وثمة أمر آخر دفع الباكستانيين إلى مراقبة تيارات الثقافة الغربية المتسربة إلى مجتمعهم مراقبة نبيهة ... ذلك هو ازدياد الشعوب إيمانا بأن دعائم الفكر الغربى لم تستطع أن تثبت صلاحها لتوطيد الاستقرار فى الغرب نفسه وفى المجتمع العالمى الأكبر

ومما فرض على حفظة الثقافة الأوردية فى الباكستان هذا التحفظ فى نشاطهم التوجيهى .. الأحداث السياسية والأوضاع الاقتصادية الطارئة التى جاءت فى أعقاب التقسيم ، وتعرض الدولة الباكستانية الجديدة إلى مشاكل إدارية واجتماعية نشأت عن طبيعة التكوين الجغرافى لهذه الدولة الناشئة ، عن تشرد الملايين من المسلمين الهنود نتيجة للصراع الطائفى الذى صاحب التقسيم ، ونزاع كشمير وقضايا الحدود ومياه الرى المشتركة بين الهند والباكستان وما إلى ذلك من القضايا الفرعية التى لها صلة مباشرة بوضعية الباكستان الإقليمية

وفى مثل هذا الجو وجد الكتاب والشعراء الباكستانيون أنفسهم منساقين إلى معالجة المشاكل الوثيقة الصلة بحياتهم اليومية ، وأن يكتبوا وينظموا فى أمور وأحداث هى من صلب الأحوال والأوضاع التى تكتنف دولتهم ومجتمعهم الجديد

ومن الاتجاهات المتولدة عن هذا المناخ العقلى الجديد ما ألم باللغة الأوردية فى السنوات الأخيرة من تطور . فالمعروف أن نشوء اللغة الأوردية جاء نتيجة لأثر اللغتين الفارسية والعربية على اللهجات الأصلية فى شبه القارة الهندية (وعلى الأخص فى السند والبنجاب) عندما خضعت للحكم الإسلامى ، فأصبحت الفارسية والعربية بمثابة لغة الاشتقاق للغة الأوردية التى تطورت بدورها فوطدت لنفسها استقلالا لغويا سليما

ويبدو أن اللغة الأوردية فى الباكستان أخذت اليوم تقوم بنفس الدور الذى قامت به اللغتان العربية والفارسية منذ قرون . فبعد أن توطد الاستقلال الثقافى للغة الأوردية ، وبعد أن تثبت الكيان لدولة الباكستان أخذت الأوردية تؤثر تأثيرا مباشرا فى اللهجات المحلية فى القطاعات التى تؤلف الأمة الباكستانية

فلقطاع البنجاب مثلا تقليد عريق فى الأدب مدون باللغة البنجابية — تقليد أصوله فى التراث والثقافة الإسلامية التى عاش عليها شعب البنجاب حقبة من الزمن . وتمتاز اللغة البنجابية

هذا المقال يستند إلى مادة تكرم بتوفيرها لـكاتب مكتب الاستعلامات الباكستانى فى نيويورك

بغزاوتهـا فى الإنتاج الأدبى إجمـالا ، فى الشعر الغربى والأدب الشعبي على وجـه الخصوص . وللمناطق الشمالية الغربيـة من البا كستان لغتها المحلية الخاصة — لغة البوشنو — وللتراث الإسلامى فى تلك المناطق دعائم متينة

ولقد وجدنا أن تيارات الثقافة الغربية كانت قبل تقسيم شبه القارة الهندية تجتاح الحياة العقلية هناك ، وأن ذيول التقسيم قد فرضت على المثقفين البا كستانيين رغبة ملحة فى صيانة حياتهم العقلية من عناصر التشويش فى التقليد والانسياق الأعمى ، وفى توجيه هـذه الحياة نحو مشا كل الساعـة والظروف والأوضاع الطارئة . ولذلك لم يكن لهؤلاء المثقفين بد من أن يعمنوا فى صيانة الدعائم التى يعيش عليها مجتمعهم — لا فى مجال السياسة فحسب ، بل فى أصول الفكر وعناصر الثقافة العامة . فأخذوا يعملون فى يقظة ونباهة على صيانة الثقافة الأوردية من التيارات الضارة التى كانت تتعرض لها — سواء جاءت هذه التيارات من الغرب البعيد أم من الهند القريبة . وهذه النزعة « القومية » فى حاضر الثقافة الأوردية جاءت نتيجة لعوامل منطقية فرضتها طبيعة الأوضاع وفلسفة الحكم وأسس التطور الاجتماعى الذى يعمل أولو الأمر فى البا كستان على تحقيقه بوحى من الإسلام وتراثه . ولذلك لم يجد حفظة الثقافة الأوردية فى البا كستان صعوبة فى تعميمها — على صورتها الجديدة — فى المناطق والقطاعات التى فى لغاتها المحلية قسط واف من التراث الإسلامى — كما هو الحال فى لغتى البنجاب والبوشنو

ولـكى يضمن البا كستانيون اطراد النمو فى نهضتهم اللغوية الجديدة — بعد أن اختاروا العكوف عن التأثر بالاستعارة المشوهة من ثقافات الهندوس والأوربيين والأمريكان — اتجهوا إلى تعزيز الروابط اللغوية والثقافية مع الشعوب الإسلاميـة الأخرى ، وما رغبتهم فى إحلال اللغة العربية مكانة رفيعة فى البا كستان إلا تحقيقا لهذا النحو وتعزيزا لهذه النهضة

وكان من نتائج هذا التنظيم الفكرى أن أخـذ الأدب الأوردى فى البا كستان ينمو ويزدهر فلا يقتصر على إحياء الذخائر القديمة فى قالب مجدد أو أن يعالج الحياة الجديدة فى إطار الإبداع الفنى ، بل أخذ يستمد الإيحاء من التراث الأدبى والفنى العريق الكامن فى الثقافات المحلية التى تعيش عليها الجماعات ذوات التقاليد الاجتماعية الزاهية التى تؤلف قطاعات البا كستان الشرقية والشمالية والغربية . فقد ترجمت عشرات من مقطوعات النثر والنظم من هذه اللغات المحلية إلى اللغة الأوردية ، وأخذت الأوردية تتغذى بالصور الفنية الرقيقة التى خلدها شعراء الغزل والأدب الشعبي فى البنجاب، وقصائد البطولة والرجولة التى يتميز بها شعراء البوشنو — بطولة مستمدة من طبيعة الإقليم وأسلوب الحياة الذى يسود فى مناطق الحدود فى الشمال والشمال الغربى

وعلى الرغم من تحفظ المثقفين البا كستانيين فى تأثرهم بالتيارات الفكرية الأجنبيه الخاطئة ، فإن إقبالهم على ترجمة روائع الآداب العالية تشهد لهم بحسن الاختيار وسلامة الذوق

أما طابع الأدب الأوردى الجديد فهو اليوم يتميز باتجاه عام لمعالجة شؤون الناس والحياة فى جد وتعمق ، وفى إطار العناصر الفنية المكتسبة من هـذا التمازج الجديد بين تراث الثقافة الأوردية والذخيرة الفنية من التقاليد الطريفة الزاهية للمناطق التى تؤلف المجتمع البا كستانى

وهذا الطابع الجدى ملموس فى فن القصة القصيرة والقصة الطويلة ، وفى الشعر والنقد الأدبى

وقد أتى على الأدب الأوردى حين كان العنصر الرئيسى المهيمن على إنتاجه يكاد يقتصر على مشا كل اللاجئين والصراع الطائفى الذى عصف بالناس وبمواطفهم فى ذيول التقسيم. ويبدو أن نجاح أولى الأمر والشعب فى البا كستان فى احتضان هؤلاء المنكوبين والتخفيف من محنتهم ، قد ترك أثره فى انطباعات الأدباء والشعراء ، فأصبح تطرقهم إلى هذه المحنة أقل غزارة مما كان عليه قبل بضع سنوات

أما اليوم فقد تطور فن القصة وعلى الأخص القصة القصيرة فى البا كستان على يد نفر من الكتاب الناشئين الذين نافسوا قدامى الكتاب منافسة شديدة . طعموا الأدب الأوردى بنوع سليم من القصة التى تحمل فى ثناياها أشياء أهم من التسليه أو إثارة الغرائز

وفى مجال القصة الطويلة لا يختلف البا كستانيون عن غيرهم فى معظم الشعوب الشرقية التى لم يرسخ فيها هذا النوع من الإنتاج، فالأدب الأوردى كثير من الآداب الشرقية العريقة ليس فى

فى تراثه ذخيرة من القصص الطويلة على النحو الذى عرفته الآداب الغربية ، ولا يزال إنتاج القصه الطويلة فى الباكستان مبعثر الجهد ضئيل القيمة فى الناحية العددية والفنية

أما الشعر فقد أخذ يقتدى بألوان العروض والمواضيع التى تعالج عادة فى الشعر الأوردى الحديث وأخذ الغزل القديم يفقد مكان الصدارة التى كان يحتلها فى الحياة الأدبية وبعض الشعراء الناشئون يتطرفون إلى الغزل التقليدى فى مستهل حياتهم الأدبية إلا أن قرضهم للشعر يتطور فيما بعد ويتخذ طابع التجديد فى أبواب العروض وفى مواضيع النظم وفى الصور الفنية التى تحتويها القصائد

أما أدب المقال والنقد الأدبى والدراسات التحليلية فيتزعمها ثلاثة من فطاحل الأدباء : مولانا عبد الحق ، ومولانا سيدسليمان ندى ، وميرزا محمد سعيد ، ويشاركهم فى ذلك الأديب الكبير الشيخ محمد إكرام الذى يتوخى فى دراساته وتحليله توجيه الإنتاج الفكرى فى الباكستان ليمزز المبادئ والأهداف التى تكتنف هذه الدولة الناشئة بتوطيدها فى ذلك الجزء من العالم الإسلامى

ويضاف إلى هؤلاء نفر من الجامعيين فى معاهد « البنجاب » « والسند » و « دكا » و « لاهور » المنهمكين فى تزويد المكتبة الأوردية بالبحوث والدراسات العلمية فى مختلف ألوان الثقافة الجامعية

ومدارس النقد الأدبى فى الباكستان تدين بالاجتهاد لطائفة من الكتاب والشعراء الذين استهلوا حياتهم الأدبية بقرض الشعر أو إنشاء المقالات ثم ما لبثوا أن انصرفوا عن ذلك إلى معالجة النقد لالأنهم فشلوا فى الإبداع الفنى فلأكثرهم إنتاج فنى مرموق المكانة ولكن لرغبتهم فى تخصيص اجتهادهم لخدمة النهضة الثقافية فى الباكستان وتوجيه الموهوبين من كتاب الجيل الجديد وشعرائه لبناء نهضة أدبية سليمة الدعائم عميقة الفكر رفيعة فى إبداعها الفنى

وقد أثمر هذا الجهد نتائج طيبة ، فاستطاع الشعر مثلا أن يتخلص من رخاوة مدرسة « طاغور » وابتعادها عن شؤون الساعة وانسياقها فى مشاعر عواطف صلتها بالأدب الحى واهنة ضعيفة . ولم تقتصر هذه الثورة « الشعرية » على موضوع القصيد بل تعدته إلى فن العروض ، فانطلق الشعراء فى استنباط بحور جديدة على نحو مايمارسه بعض الشعراء المحدثين فى حاضر الأدب العربى ، وازداد النظم بالشعر المنثور إلا أن كثيرا من أئمة العروض فى الأدب الأوردى لا يزالون يلجؤون إلى جزالة اللفظ ورصانة التعبير ليسبغوا على الشعر لونا من القوة . وللشعر الرمزى فى الباكستان أتباع ومريدون يغرمون بالإيجاز فى الكلم والبراعة فى اختياره على نحو ماتتطلبه الرمزية

وقد تزعم الأديب البنغالى الكبير « نصر الإسلام » الثورة على مدرسة طاغور ، فقد لمس فيها رخاوة وخنوعا لايتمشى مع مطالب الحياة العقلية الإسلامية ، ودعا نصر الإسلام إلى أن تكون صلة الأدب بالحياة السياسية والاجتماعية وثيقة متينة، ودواوين هذا الشاعر البنغالى تطفح بالقوة والنظرة العميقة فضلا عن جزالة اللفظ ورقة الموسيقى ومهارة الصياغة وبلاغة التعبير

وفى الشعراء المجددين فى حاضر الأدب الباكستانى شاب يجمع فى القصيد بين الروعة الفنية والنظرة الواقعية للصور والمواضيع التى يعالجها فى شعره — هذا الشاعر هو « عبد الحسين » الذى يمتاز نظمه بالتعابير المستحدثة والنغمة الرقيقة والبلاغة المبسطة التى قال عنها ابن المقفع « إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها »

والتجديد فى الأدب الأوردى فى شرق الباكستان وغربيها لم يتعمد القضاء على تراث الماضى والذخيرة النافعة الكامنة فيه ، بل إن النهضة الفكرية إجمالا توخت استيحاء التراث القديم والكشف عن نفائسه . وهذا الاتجاه ملموس فى البنغال الشرقية أكثر منه فى المناطق الأخرى

وحركة بعث الذخائر الأدبية القديمة لا يقتصر على تراث الإسلام الذى اندثر تحت سيادة الهندوس الثقافية فى تلك البقاع الإسلامية بل شمل أكثر نفائس الأدب الشعبى الذى سبق انتشار الإسلام . وقد تخطى هذا الإحياء حدود نشر القديم وتبويبه وتحريره فى لغة الجيل فطعمت اللغة الأوردية بأكثر من ألفين وخمسمائة كلمة جديدة من مشتقات عربية وفارسية وجدت سبيلها إلى الأدب الشعبى القديم عن طريق الإسلام ، وارتأى حفظة الثقافة الأوردية فى الباكستان إحياءها وتغذية النهضة الأدبية بها

وإذا جاز للباحث عن حاضر هذه النهضة الثقافية فى

الظلم . الجبن . الأنانية
هذه هي أعداؤنا

للأستاذ محمد محمود زيتون

يتشدق الكثيرون بأن الفقر والجهل والمرض هي أعداؤنا التي يجب أن نكافحها ، إذا أردنا صلاح أمر هذه الأمة ، وأسارع إلى القول بأن هناك فرقا بين العلة وأعراضها ، وليس بدعا من الرأى أن يكون الظلم والجبن والأنانية هي العلل الفتاكة التي تنمو في نفوس الأفراد والجماعات وتحطم كيان الأمم حتى يكون من أعراضها الفقر المدقع والجهل المطبق والمرض الفتاك

ومن بداهة العقل أن الظلم هو الصورة السلبية للعدل ، والعدل هو إعطاء كل ذى حق حقه ، من غير إفراط أو تفريط ، بحيث تسير الأمور في هذه الدنيا على سواء ، ومن مظاهر العدل أن ينسجم الفرد مع نفسه ومع غيره ، وأن تتسق الجماعات والهيئات في نشاطها الاجتماعى ، وأن تتعاون الأمة مع الحكومة ، وأن تتناسق الدول بحيث تكون كفالة الأمن والسلام أمراً لازما لامعدى عنه. وبعد : فإن من العدل أن تهدف الإنسانية إلى أسمى المثل ، وتعمل على تحقيقها قولا وعملا

أما إذا اضطرب هذا الانسجام في الفرد والمجموع ساد الظلم في أقصى حديه : الإفراط والتفريط . وعمت الفوضى التي لا يصلح عليها أمر ، وينعدم حيالها كل رجاء في الإصلاح والتقدم ، وإن أقرب ما يحس به الفرد حينذاك هو الشعور بالفارق بينه وبين غيره ، وقد يتنكب هذا الشعور كل حقيقة فإذا به يرد هذا الظلم الواقع على من بيده ملكوت كل شئ ، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيراً

إنه تبارك وتعالى يأمر بالعدل وينهى عن الظلم ويبعث المرسلين مبشرين ومنذرين ، ولقد جاء في الحديث القدسى عن رب العزة أنه يقول : « يا عبادى : إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما ، فلا تظلموا » ومن الطبيعى أنه إذا وقع الظلم انحلت القوى الفكرية ، وانتشرت جراثيم الوهم ، فلا مناص من أن يثوب المرء إلى رشده ويحسن التدبير ليوقن أن الظلم إنما هو « انحراف الموازين الموضوعة » وليس هذا قضاء حاتما ولا قدراً لازما ، وإنما على الفرد والجماعة مكافحة هذا الانحراف والإلحاق بهم ما يكرهون

قال أبو بكر « أيها الناس : إنكم تقرأون هذه الآية « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وإنى سمعت رسول الله يقول « إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يده ، أوشك الله تعالى أن يعمهم جميعا بعقاب » وماذا يمنع المرء أن يكون قادرا على رد الظالم وقد أعزه الله تعالى بقوله الكريم

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ، ولماذا يتخلى صاحب العزة عن سلاحه الذى به يسود ، وهو يعلم أن المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف ، وأن نصر المؤمنين حق . ولقد ساير الإسلام طبيعة البشر في مدارج الإسلام لدفع الظلم بالقلب ، فإذا امتلأ بالإيمان نطق اللسان قويا في الجماعة التي تقوى بدورها لدرء كل منكر باليد حتى يزول ، وهذا مصداق لقول الرسول (ص) « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »

وما كان لمؤمن أن يرضى لنفسه الضعف أو الوقوف عند مجرد الإنكار بالقلب ، وذلك مما لا يؤدى إلى الغرض ، وهو

الباكستان أن يحصر أسسها في عنصر متميز ، فإن هذا العنصر هو ازدياد الثقة بالنفس والشعور بالمسئولية في مجتمع اختار التراث الإسلامى نبراسا له واتخذ معاول العلم الحديث أسلوبا للتعبير عنه ولتعزيزه وتوطيده

وليس أدعى إلى الإيمان بمستقبل الثقافة الأوردية في الباكستان من أن يكون نبراسها هذا التراث العتيد وأن تكون معاولها واتجاهاتها متماشية مع مطالب الجيل الجديد

نيويورك — عمر حليق

القضاء على الظلم ، وإلا ارتفعت درجة الظلم كلما انخفضت حرارة الإيمان ، ولذا يقول الرسول الأعظم « الساكت عن الحق شيطان أخرس »

إن الجبن الذى يقعد بصاحبه عن المغامرة فى شرف دفع الظلم فتتفكك أوصاله وترتعد فرائصه ، وتختل قواه ، ويقبع فى عقر داره ، وينعقد منه اللسان إن لم يلجأ إلى الملق والنفاق، ليحجب أفاعيل الخور والهزيمة فى نفسه، وهنا يزين له الشيطان مسلكه ! فإذا بالجبان طاغية باغية ، وإذا بالرعديد كالصنديد إذا خلا بأرض طلب الطعن والنزال وحيدا

والأصل أن يكون المؤمن قويا عزيزا ليكون شجاعا كريما ، يندفع إلى الحق فى صراحة وحماسة ، لا تأخذه لومة اللوام ، وله فى ذلك شرف المجاهدين فى أشق ميادين الجهاد وهو النفس ، وبذا يرتفع لواء الخير وتعلو كلمة الحق ، ويسود العدل ، وما يلبث ضعاف الإيمان أن يتدافعوا نحوه ، فتقوى قلوبهم ، وتشتد سواعدهم فى سبيل الله ، والجبان لا يتخلف عن الركب القوى إلا لأنانيته الخسيسة ، وحبه لنفسه المتهالكة الواهية ، وإمعانا فى إخفاء ما يستذل العنق ، وإبقاء على سر موغل بصاحبه إلى عيب دفين ، فإذا به ينطوى على نفسه يكتم منافذها جهد استطاعته، منزويا بها عن الهواء الطلق والنور الصريح، وهنا يعقد له منطق التبرير ما يطمئن قلبه ، بقول فيلسوف الحرب ديكارت « عاش سعيدا من أحسن الاختفاء » . مثل هذا الشخص مريض ، على المجتمع أن يعالجه ، بل هو جاهل علينا أن نعلمه ، فليسمع قول المتنبى شاعر البطولة :

إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم

وليتمثل علو الهمة من الشافعى :

همتى همة الملوك ونفسى نفس حر ترى المذلة كفرا

وعندى أن الأنانى لص اجتماعى ، لأنه إذا استغنى عن المجتمع بما لديه من مال أو جاه إنما يتسلل فى الخفاء وينهب عرق الكادحين ويمتص دماءهم ، وهو فى وكره البعيد ينعم بالدفء والراحة ، فهو يأخذ ولا يعطى

وما علينا إذن إلا أن نحطم أوكار الأنانية على أصحابها، وأن نسوقهم أمامنا إلى ميادين العمل حتى يتذوقوا مرارة العيش التى يمسى فيها العاملون ويصبحون . وهكذا يتدخل الفرد والمجموع وتتفاعل الحياة بينهما على نحو طبيعى تقدمى :

ولقد دل حديث الرسول (ص) على استمرار العمل الإنسانى بقوله عليه السلام « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له »

أما بعد : فليعلم كل من لا يعلم أن الفقر والجهل والمرض ما هى إلا أعراض الظلم والجبن والأنانية ؛ وهى بحق العلل الفتاكة ، فلنحارب كل ظالم ، وكل جبان، وكل أنانى ، وإليكم وائدنا قول الشاعر :

متى تحمل القلب الذكى ، وصارما وأنفا حميا تجتنبك المظالم

محمد محمود زيتونه

زعماء الحركة القومية

السيد محمد كريم

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

(٣)

بعد أن انتهى الفرنسيون من احتلال مدينة الإسكندرية أمر نابليون بإبقاء « السيد محمد كريم » حاكما لها حتى يخلد الأهالى إلى الهدوء والسكينة، وينصرف الجميع إلى أعمالهم

وكان نابليون يعلم تماما أن الأهالى وعلى رأسهم « السيد محمد كريم » لم يخضعوا له إلا إذعانا للقوة المسلحة ، وأنهم يتحينون الفرص للثورة على الحكم الجديد ، ولذلك عمل على التقرب إليهم لينال عطفهم ، ويكسب ودهم

وقد بين لهم أنه ماجاء إلى مصر ـ إلا ليحارب المماليك الذين استبدوا بحكم البلاد وحرموا الفلاح المصرى ثمرة خيراته ، واعتدوا على التجارة وأساءوا إلى أهل البلاد بما ارتكبوا من مظالم

وأخذ نابليون يذيع منشوراته على الأهالى ، ليثبت هذه المعانى فى نفوسهم ، ويضمن ولاءهم للجمهورية الفرنسية ، كما طلب أعيان الثغر وألزمهم بجمع السلاح ، وإحضاره إليه حتى لا يفكر الأهالى فى المقاومة المسلحة

وكان مما قاله للسيد محمد كريم

« لقد أخذتك والسلاح فى يدك ، وكان لى أن أعاملك معاملة الأسير ولكنك استبسلت فى الدفاع ؛ لذلك أعيد إليك سلاحك وآمل أن تبدى للجمهورية الفرنسية من الإخلاص ما كنت تبديه لحكومة سيئة »[1]

ولم يكن هذا القول من جانب نابليون إلا تقديرا منه لجهود « السيد محمد كريم » وعلمه بما يشعر به الشعب نحوه من محبة وإكبار وتقدير

وقبل أن يترك نابليون مدينة الإسكندرية ، عين الجنرال « كليبر » حاكما لدائرة الإسكندرية وضواحيها » وأوصاه بأن يعمل كل ما فى وسعه لاستبقاء العلاقات الحسنة مع الأهالى وإبداء كل أنواع الاحترام للعلماء ورؤساء المشايخ فى المدينة»

* * *

بهذا نرى أن « السيد محمد كريم » بقى فى منصبه بناء على رغبة نابليون، ولكن هذا الحاكم الوطنى المحب لبلاده ، المخلص للسلطان العثمانى خليفة المسلمين وظل الله فى أرضه ، كان يشعر بالكراهة والمقت لهؤلاء الحكام الأوربيين

وقد زاد من نفوره منهم وحقده عليهم أنهم فرضوا على الأهالى غرامة قدرها ستة آلاف جنيه تقريبا فى الوقت الذى حل فيه الكساد محل الرخاء . . وانتشرت الفاقة والضيق بالأهالى بعد أن كانوا أوفر ثروة ، وأحسن حالا

وقد زاد من سوء الحالة أن الجنود الفرنسيين بدأوا يشكون من البلاد المصرية بعد أن ذاقوا ملذات المدن الإيطالية ؛ وبعد أن وجدوا أن الأمانى التى وعدهم بها نابليون لم تكن إلا مجرد وهم وخداع ، وظهرت روح التمرد بين الجنود ، فأخذوا يغتصبون ثمار الأشجار ويقطعون النخيل من جذوعه ، ويعتدون على الأهالى المسالمين . .

ولقد ظلت روح التمرد والعصيان كامنة فى نفوس الأهالى حتى أشعلها « السيد محمد كريم » وأوقد نارها من جديد

فاعتدى الأهالى على أحد جنود مدفعية الأسطول ، وألقوا جثته فى الطريق ، كما ألقوا فى البحر خادم أحد الضباط فمات غرقا ، وقد ثارت ثائرة « كليبر » وأراد أن ينتقم من الجناة . . ولكنه لم يعثر لهم على أثر ، كما تأكد لديه أن الجندى الفرنسى قد تعرض للقتل نتيجة لاعتدائه على الأهالى

ولذلك أصدر منشورا إلى جنوده ، طالبا منهم أن يحافظوا على أنفسهم بحماية الأهالى والمحافظة عليهم ، ومهدداً بالإعدام كل جندى يعتدى على حقوق المسلمين الدينية أو المدنية

ولم يقتصر السيد محمد كريم على إثارة روح الكراهية والثورة فى نفوس الأهالى ، بل جعل يتصل بجميع المدن والقرى التى يمر بها رجال الحملة الفرنسية ليعدوا للأمر عدته ، وليقاوموا

[1] عبد الرحمن الرافعى : ص ١٣٦

نابليون وجنوده بكل ما استطاعوا من وسائل المقاومة

وقد حدث أن إحدى الـكتائب الفرنسية خرجت من الإسكندرية لتقوم بحملة تفتيشية فى بعض الجهات المجاورة — فلما علم السيد محمد كريم بما يعتزمه الفرنسيون ، اتصل بالمدن والقرى القريبة ، وطلب منها أن تقاوم الـكتيبة ، وتمنع الماء عن رجالها

فلما غادر الفرنسيون الإسكندرية ، تابعوا سيرهم حتى وصلوا إلى دمنهور ، وكانوا يجدون مقاومة شديدة من جانب الأهالى ، كما قتل منهم ما يقرب من ثلاثين جنديا ، ولذلك عادوا إلى الإسكندرية وهم فى حالة سيئة ، وقد ثبت لديهم أن الأهالى لم يخضعوا — بعد — للحكم الفرنسى ، وأن هناك اتصالا مستمرا بين الإسكندرية وغيرها من المدن والقرى

ولما علم الجنرال « كليبر » بما لاقته الـكتيبة من مقاومة ومشقة ، أراد أن يقضى على حركة المقاومة — ويقوم بعمل حاسم يستعيد به هيبة الجيش الفرنسى ، ويسترجع مكانته فى نفوس الشعب ، فأمر بالقبض على « السيد محمد كريم » وبعث به إلى أبى قير ، تمهيدا لتوصيله إلى القاهرة ، حيث يقابل نابليون ، ويدفع عن نفسه التهم الموجهة إليه ، وفى نفس الوقت ، أرسل الجنرال كليبر كتابا إلى نابليون يعرض فيه أمر السيد محمد كريم ، ويطلب منه ألا يأمر بعودته إلى الاسكندرية حتى لا تعظم مكانته ويستفحل أمره — ويزداد نفوذه فى نفوس الأهالى

وقد مكث « السيد محمد » فى أبى قير أياما .. طلب بعدها من الأميرال « بروى » قائد الأسطول أن يأمر بتوصيله إلى القاهرة . فأرسله الأميرال بدوره إلى رشـيد .. ليبعث به الجنرال مينو إلى القاهرة ...

ومما هو جدير بالذكر .. أن « السيد محمد كريم » على الرغم من أن دائرة حكمه لم تكن تتعدى الاسكندرية .. إلا أن شهرته قد انتشرت فى جميع أجزاء مصر .. وأصبح المصريون — على اختلاف طبقاتهم — ينظرون إليه على اعتباره محور المقاومة للنظام الجديد .. وعلى اعتباره زعيمهم المعبر عن أمانيهم .. والمفصح عن آمالهم ...

يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى :

«(٢) وصل السيد محمد كريم .. إلى رشيد .. مطلق السراح ، وكانت منزلته من نفوس المصريين قد عظمت بسبب اعتقاله .. وانتشرت محبته فى كل مكان .. فلم يكد يعلم أهالى رشيد بقدمه حتى سارعوا إلى ملاقاته بالحفاوة والتكريم .. مما اضطر الجنرال مينو إلى القبض عليه .. والإسراع بإرساله إلى مصر ... »

وما كاد السيد محمد كريم يصل إلى مصر .. حتى أصدر نابليون أوامره إلى الجنرال « ديبوى » حاكم القاهرة : بالتحقيق معه .. كما طلب منه أن يحاول إثبات التهمة عليه بمختلف الوسائل

ولم تكن هناك حاجة إلى التحقيق ، فسرعان ما انتهى بثبوت التهمة عليه .. وإعلان خيانته للجمهورية الفرنسية

« (٣) وأصدر نابليون أمرا بإعدامه رميا بالرصاص .. ومصادرة جميع أملاكه وأمواله .. وسمح له أن يفتدى نفسه بدفع ثلاثين ألف ريال فى أربع وعشرين ساعة »

فرفض السيد محمد أن يدفع له هذا المبلغ .. ولم يكن ذلك منه عجزا .. أو حرصاً على المال .. وإنما كان إيمانا بالله .. وإيمانا بأن الموت مصير كل إنسان .. ونهاية كل مخلوق

فليكن موته إذن على أيدى أعدائه .. وأعداء بلاده .. حتى يكون ذلك وقودا جديدا للثورة .. وباعثا للمصريين على مواصلة الكفاح والنضال لتحرير بلادهم من أيدى أعداء الدين والوطن

ولقد نصحه أحد تراجمة الحملة بأن يدفع الغرامة .. وقال له :

— « (٤) إنك رجل غنى .. فماذا يضيرك أن تفتدى نفسك بهذا المبلغ ؟؟

فأجابه السيد محمد كريم :

— « إذا كان مقدراً على أن أموت ، فلا يعصمنى من الموت أن أدفع هذا المبلغ .. وإذا كان مقدراً لى الحياة .. فعلام أدفعه؟؟ »

وظل على رأيه .. إلى أن نفذ فيه حكم الإعدام .. وبذلك أصبح « السيد محمد كريم » بجانب زعامته للشعب ، أول شهيد من شهداء الحرية ، فى عهد الحملة الفرنسية

***

هذه خلاصة موجزة ، لسيرة ذلك البطل المصرى ، الذى

(٢) عبد الرحمن الرافعى . الحركة القومية جـ ١ ص : ١١٨
(٣) نفس المصدر ص : ١٥٠
(٤) عبد الرحمن الرافعى : ص ١٥٠ عن : ريبو . التاريخ العالمى والحربى للحملة الفرنسية جـ ٣

أقـــلام الثورة

عمر عودة الخطيب

مهداة إلى صاحب القلم الثائر الأستاذ سيد قطب

ضاقت الكنانة ذرعاً برعايا الشيطان ، الذين تربعوا على عروش الظلم والطغيان ، وعاثوا فى الأرض الفساد ، وأذلوا رقاب الناس ، واحتكروا أقوات الشعب ، وكموا الأفواه الثائرة ، وحطموا الأقلام الطاهرة ، فأرسلتها صرخة مدوية قوية زلزلت الأرض تحت أقدام الحاكمين ، وقوضت دولة الفساد ، وأفزعت هذه الحفنة من العبيد الجلادين ، فطرد ملك مستبد ، لينعم الناس بالحرية ، وألغى البوليس السياسى ليتحرر الشعب من الخوف ، وستوزع الأرض على هذه المواكب التعسة الكادحة لتشبع البطون الخاوية وتكتسى الأجسام العارية ، وكانت — والحق — ثورة تليق بمجد مصر وشعب مصر

وإذا كان لا بد للثورة من عقول حازمة ، وقلوب مؤمنة ، وعزائم قوية ، لتطهر الحكم من الفساد ، وتنقذ الشعب من الشقاء ، وتحرر البلاد من الأعداء ، فهى أشد ماتكون حاجة إلى أقلام ثائرة ، مدادها الإخلاص ، ورائدها الحق ، لتطهر النفوس من الضعف والخنوع ، وتحرر العقول من الغفلة والركود ، وتأخذ بيد هذا الشعب إلى ذروة عالية هو بها جدير

تريد الثورة أن يكون القلم جنديا شريفاً ، يوقظ الأفكار الهاجعة ، ويحرر القلوب الخانعة ، ويخط رسالة المجد ، ويكتب سطور القوة ، ويلهب بكلماته حماس الشعب لكل إصلاح ، ويقرع بصيحاته الآذان الصم ، ويفتح القلوب الغلف ، ويبعث بصرخاته الضمير الميت ، ويبنى بمداده حصن الحرية المكين ، وصرح الخلق المتين

تريد الثورة أن تسكت هذه الأقلام الفاجرة ، التى تنفذت من الفساد حتى ترهلت ، ورضعت من الإثم حتى ارتوت ، ومجدت الطغاة والمفسدين ، وحاربت الهداة والمصلحين ، وانغمست فى التحلل والضلال ، وماتت عندها الكرامة والرجولة ؛ وفقدت معانى الشرف ، وخانت أمانة الله والوطن . . . نعم تريد الثورة أن تسكت (أقلام الترفيه الماجن) ، التى تتملق الغريزة الجنسية ، وتتلف أعصاب الشباب بسم الإباحية . . . هذه الأقلام التى كانت تجول فى معارك الرقص مع حبائل الشيطان ، والشعب يخوض معارك النار مع الأعداء ؛ وكانت تنفق على غانيات باريس وفى نوادى لندن ونيويورك ألوف الجنيهات ، والشعب يجود من ماله لأبطال التحرير فى فلسطين والقنال بثمن اللقيمات . . . ثم تعود هذه الأقلام الرقيعة إلى مصر من رحلاتها الفاجرة ، لتقص على هذا الشعب المسكين جمال الباريسيات وعناد الألمانيات وطيش الأمريكيات ، وتقول له — بوقاحة سافرة — هات ثمن هذا الزاد الفكرى القيم ، الذى أتعبنا به أنفسنا ، وأرهقنا بسببه أعصابنا وتكلفنا فى سبيل جلبه ، إليك وعثاء الطريق ، وتكبدنا نفقات السفر ! ! . . ويصدق الشعب المسكين هذه الأكذوبة ويعطيهم بغير حساب ، ويقبل على مايكتبون ، فلا يجد به سوى دعوات الفجور بأسلوب تفوح منه روائح الإثم

تريد الثورة أن تسكت الأقلام المأجورة التى اشتراها الدولار وغذاها الاستعمار ، وأمدها قلم المخابرات لتسبح بحمد الدخلاء ، وتروج لسياسة الأغراب ، وتنشر على الناس أساطير الديمقراطية وأكاذيب الأهداف الغربية . . . هذه الأقلام التى ولدت فى مصر وشربت من نيلهـــا الصافى وعاشت من خيرها العميم . . ثم

استطاع أن ينفخ من روحه القوية ، فى نفوس مواطنيه ، معنى الحياة الحرة الكريمة ، والذى استطاع أن يثبت بكفاحه وجهاده أن مصر لم تكن تفتح أبوابها لكل طارق ، وأن شعب مصر ، لم يكن يتنازل عن حريته .. أو يفرط فى كرامته ... لأى فاتح ، مهما بلغت قوته ، أو زادت سطوته ...

كما أثبت أن سجل النهضة المصرية ، ملئ بآيات الشجاعة والمجد ، حافل بصور الكفاح والتضحية ... زاخر بضروب البسالة والإقدام ...

عبد الباسط محمد حسن

استهواها السين وبرح بهـا هوى التايمز ، فأنكرت قوميتها وجحدت شرقيتها ، وكفرت بالأمة وسخرت من الشعب ، وألقت في النيل بأحجار المقت والكفران . . فهي تتحدث — بإكبار — عن الإنجليز في بلادهم ، وتنسى الحديث عن الإنجليز في مصر والشرق ، وهي تعشق فرنسا بلد النور والحرية والإشعاع ، وتعمى عما تعمله فرنسا من وحشية واستبداد في بلاد المغرب العربي . ثم تبلغ بها الوقاحة منتهاها حين تزعم أنها تدافع عن حق الشعوب المضطهدة ، بمثل هذه الأساليب الرخوة المتهافتة ، التي لا تصدر عن ضمير حر وقلب متأثر . . . والعجيب في هذه الأقلام أنها إذا ما رأت طلائع الثورة ، ولمحت أشعة الفجر ، وعرفت أنها ستفضح وينكشف عورها ، خرجت من الظلام ، وطامنت من كبريائها ؛ ونزلت من أبراجها ، وأدلت بدلوها ، وبرزت أمام الناس أقلاما حرة نظيفة ، بسطور من النفاق تزخرفها ، تضحك بها على الشعب الذي خذلته في أيام المحنة ، وسخرت منه حين كان يطالب بالحرية والاستقلال

تريد الثورة أن تختفي من السوق بضاعة الأدب الأسود ، أدب الميوعة والمجون ، والنفاق والتهريج ، ليحل مكانه أدب قوي رصين يستمد أصوله من الماضي التليد والحاضر المجيد ، ويبنى بحكمة وقوة حضارة مصر والشرق ، ويؤيد بحرارة وإيمان آمال العروبة والإسلام ... وأصحاب الأقلام يعرفون قبل غيرهم أن الشرق العربي والعـالم الإسلامي يعاني أزمة خانقة ، يثيرها أعداؤنا في كتلتي الشرق والغرب ؛ ويرون فينا لقمة سائغة تبتلعها أفواه المدافع ، وهم لذلك يعدون لنا — ولنا وحدنا — وسائل التدمير والخراب ، وأسلحة الحديد والنار . . ثم يضحكون لنا ، ويزينون للمخدوعين منا مبادئهم ، ويظهرون بأثواب الحملان الوديعة ، التي تريد بنا الخير وتتمنى لنا السعادة والطمأنينة .. فمن واجب الأقلام هنا أن تنزل إلى الميـدان ، لتحذر الشعوب الغافلة من مكائد الاستعمار وأذنابه ، وتنقذ المخدوعين من أنياب الذئب وأظفاره

ثم إن أصحاب الاقلام يعرفون قبل غيرهم أنه يجثم على صدورنا كابوس ثقيل من الفقر والجهل والمرض ... كابوس صنعه هؤلاء المترفون الذين يعيشون في قصورهم الكبيرة ، وينفقون اللايين الكثيرة ، ويأكلون فلا يشبعون ، ويشربون فلا يرتوون ، ويرون بأعينهم الكافرة صوراً شاحبة حزينة لأناس ممزوقة العظام ، بادية السقام ، تهيم في الأزقة المظلمة الحقيرة ، لتربض عند أكوام من (القمامة) تبحث فيها عن الفتات الذي ركله السادة المتبطلون يرون هذا من خلف أسوارهم المنيعة فلا يرحمون ، ويسمعون الأنات الشاكية تنبعث من صدور الجائعين فـلا يشفقون ، إن أصحاب الأقلام يعرفون كل هذا فعليهم أن يدكوا بأقلامهم الثائرة أسوار الجلادين ، ويمشوا بأضوائهم الباهرة إلى أكواخ البائسين ، لتحقق العدالة الاجتماعية ، وتعم الأخوة الإنسانية ، ويعيش الناس في أمن وسعادة ووئام

هذا ما تريده الثورة العاقلة التي خلعت ملكا ظالما ، وأنقذت شعبا مظلوما ، وطهرت حكما فاسداً ، وأيقظت شعوراً راكدا ، وبدأت تبني للأمة مجتمعا فاضلا ، وتهيئ لها مستقبلا رغدا ، وهي تهيب بالأقلام أن تسير مع القافلة نحو القوة والعزة والمجد . فهل تستجيب

عمر عودة الخطيب



أحبابى الموتى*

للأستاذ أنور العطار

فيا عهدهم لازالت نضرا على البلى ترف رفيف النور فى أضلع الزهر

أحن إليكم كلما ذر شارق وأبكيكم ماعشت فى السر والجهر
أحباى يا سؤلى ويا غاية المنى طويتم ضلوع القلب فى على الجمر
وبت أناجيكم وأهفو إليكم وأصبو إلى لقياكم آخر الدهر
كأنى لحن الحب قيثارة الهوى أنوح على الأحباب بالأدمع الحمر
أصوغهم شعرا يفيض مواجعاً وأنظمهم عقدا يتيه على الدر
وأودعهم قلباً تقطع حسرة عليهم ، وعيناً دمعها أبداً يجرى
فياعهدهم لازالت نضراً على البلى ترف رفيف النور فى أضلع الزهر
ويا طيفهم زدنى اشتياقا ولوعة يزدك الهوى ماشئت من دامع الشعر

* * *

فيا أيها الغادون لا البين صدهم ولا حجبت أنوارهم ظلمة القبر
جفونى مأواهم ، ضلوعى قبورهم فيا لقبور خطها الحب فى صدرى
سلوا الجفن هل طافت به سنة الكرى
سلوا الليل هل دارت به مقلة الفجر
إلى الله أشكو ما أقاسى من النوى وما يتنزى فى الخواطر من ذكر
بروحى أنتم من محبين ودعوا فودعت أفراحى وفارقنى صبرى
ولم تؤونى الأرض الفضاء كأننى سجين أقضى العمر فى النفى والأسر
بعيد عن السلوان، صفر من الألى أشاع هواهم لذة الشعر فى ثغرى
فهل علم الأحباب أن خيالهم سميرى فى حلو الحياة وفى المر
إذا نسى الإنسان فى اليسر صحبه فلا خير فى التذكار فى ساعة العسر
أأيامنا لا زلت معسولة الجنى كروض شذى رف فى حلل خضر
أناجيك بالقلب اللهيف من الجوى وأرعاك بالود البرئ من الغدر
وأسقيك دمع العين سقيا كريمة
إذا ضن جفن السحب بالساكب القطر
سلام على تلك العهود فإنها أمدت خريف العمر بالورق النضر
وزانت أناشيدى ووشت مدامعى فمن لؤلؤ نظم إلى لؤلؤ نثر
وما شئت من ظل رخى ومن شذا وما شئت من طير يغنى ومن نهر
أمانى فى زهو الحياة وفجرها مرصعة الأفياء بالمتع الغر
أراك بعين قد تنكر دهرها وما ألفت إلا الوفاء على النكر
وأصبو إلى ذكراك والذكر راحة لمن عاش فى الهم المبرح والخسر
وأشتاق الاقا سقانى ودادهم
كئوس الهوى حتى انتشيت من السكر
وحتى كأن الدهر طوع أناملى ينولنى قصدى ويبلغنى أمرى
لذا زرتنى ياطيفهم فى حمى الكرى فقد زارنى سعدى وعاودنى بشرى
وأشرقت الدنيا بعينى وازدهت ليالى بالأنوار والأنجم الزهر
وهون ما ألقاه من لاعج الضنى وخفف ما أشكوه من ثائر الفكر

* * *

مررت على الدار التى غالها البلى وقوضها حتى استحالت إلى قفر
فنازعنى قلب يذوب صبابة إليها ، ودمع لا ينهنه بالزجر
أطوف بها والروح يعصرها الشجا ويعمرها بالبشر حينا وبالذعر
هنا الأهل والأحباب والقصد والمنى
هنا الملتقى بعد القطيعة والهجر
هنا تجثم الذكرى هنا ترقد الرؤى هنا الموت يبدو فى غلائله الصفر
هنا يقرأ الإنسان سفر حياته ويا هول ما يلقاه فى ذلك السفر
صحائف إن قلبتها ازددت حسرة على ما بها من غائل الغدر والشر
هنا العبرة الكبرى التى دق شأنها وأعوزها سبر فأعيت على السبر
هنا يخشع القلب الشجى مرددا كتاب الردى المحتوم سطراً إلى سطر
بنفسى أرواح رقاق حبيبة مضمخة الأعطاف مسكية النشر
تأرج بالذكرى وتعبق بالهوى كأن بها عطراً أبر على العطر
أعيش بها جذلان يعمدنى الرضا ويقتمنى منها الخيال إذا يسرى

* * *

سلام على الأحباب إن طيوفهم لتملأ هذا الفكر بالنائل الغمر
ولولاهم لم أجن ريحانة الهوى ولولاهم ما شمت بارقة العمر

(*) من ديوان « وادى الأحلام » الماثل للطبع

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

الأدب في البصير

لفت نظري أخي الكاتب الأديب الأستاذ صديق شيبوب إلى احتفال الدوائر الأدبية الفرنسية هذه الأيام بذكرى مرور خمسين سنة على وفاة إميل زولا ومائة سنة على وفاة بول بورجيه

والأستاذ صديق شيبوب من أبرز كتاب الأدب المعاصر في الثغر الإسكندري؛ وقد شارك بجهود ضخمة في جماعة نشر الثقافة، وهو الآن محرر الصحيفة الأدبية الأسبوعية من جريدة البصير التي تظهر يوم الجمعة، والتي أنتظرها بشوق بالغ لأقرأ تلك الفصول الأدبية القوية التي يكتبها شيبوب فيسكب فيها عصارة مجهود ضخم، يبذله طول الأسبوع، فهي تحوي تلخيصا وافيا لكتاب من الكتب الأوروبية الجديدة وتعليق المترجم عليه

وجميل أن تظل صحيفة « البصير » التي تملأ أعمدتها بحديث المال والاقتصاد، محتفظة بذلك التقليد الجميل، تقليد الصفحة الأدبية الأسبوعية بعد أن هجرته الصحف اليومية أو حولته إلى صورة ليست من الأدب في شيء لإرضاء رغبات القراء، وغرائز الجماهير

وقد كانت بدعة الصحيفة الأدبية الأسبوعية قد انتشرت في الصحافة المصرية إلى ما قبل ١٩٣٩ عندما بدأت الحرب العالمية، واضطرت الصحف إلى أن تلغي صفحات الترف منها واقتصرت على الأنباء الهامة

وكانت الصفحات الأدبية في البلاغ والسياسة والأهرام والمصري، تتناول الكثير من مشاكل الأدب وشؤون الفكر.. على نحو لا بأس به. وكانت تقوم المحاورات والمساجلات الأدبية بين كتاب الصحف اليومية وكتاب المجلات الأدبية، كالمساجلات التي قامت بين العقاد في الجهاد وطه حسين في الرسالة.. وغيرها

فلما انتهت الحرب العالمية وعادت الصحافة إلى التوسعة على قرائها بمزيد من الصفحات، كان الذوق الصحفي قد تطور، وأخذ يمضي في طريق يمكن القول بأنه مضاد للأهداف الأدبية والفكرية العليا، فقد عنيت الصحافة بالأدب الخفيف أو أدب (الساندويتش) وحرصت على أن تقدم للقارئ القصة المثيرة، والصورة العارية، والفكاهة التافهة، باسم الطرائف

ومت الصحف اليومية من هذا إلى تقليد المجلات الأسبوعية التي تعيش على إرضاء أهواء القراء، وبذلك انحسرت الموجة الأدبية تماما من الصحف اليومية وتوارت خلف بعض المجلات الأدبية الأسبوعية التي ما زالت تحتفظ بطابع الأدب الرفيع

الشاعرات

من الملاحظات الدقيقة الجديرة بالبحث والعلاج، ندرة الشاعرات بين فتياتنا ونسائنا المثقفات. ويقيني أن الأمر لا يقف عند الشاعرات فحسب، ولكن ينسحب على اللواتي يشغلن أنفسهن بالعمل الأدبي بوجه عام

فأنت لا تستطيع أن تحصي أكثر من شاعرتين أو ثلاث، لا يرتفع شعرهن إلى قاعدة الإجادة أو التفوق

وهناك أسماء كاتبات وشاعرات كانت تلمع قديما، ثم اختفت وتوارت.. من أمثال ذلك الكاتبة « ملك محمود السراج » أين

ولا صنت أنتانا لطافاً شجية ... أرق من النجوى وأصفى من الخمر
يرى الفرد الحيران فيها أليفة ... وينسى بها دار الخديعة والمكر

* * *

عفاء على الدنيا فما هي لذة ... إذا كنت في شطر وقلبك في شطر
ويا بؤس محيانا ويا طول غمنا ... ويا شد ما نلقاه في الدهر من قسر
ويا شوقنا للصحب في غمرة الردى ... وفي هدأة الثوى وفي رقدة العفر
عر خيالات يوشحها الأسى ... ونترع أثواب الحياة ولا ندرى
ونطرح أياما ثقالا رهيبة ... براء من الألوان خلواً من السحر

أنور العطار

هى الآن ، لماذا اختفت وراء السحب ، لماذا اكتفت بحياتها المنزلية المحدودة ؟ إن زميلاتها ، أمينة السعيد ، وبنت الشاطئ ، وجميلة العلايلى ، وغيرهن .. ما زلن يكتبن .. فلماذا تختفى هى !

وإذا كانت لا تحب الاتصال بالمجلات الأدبية فلماذا لا نرى لها بين آن وآخر كتابا جديدا ؟ إنها زوجة كاتب كبير واسع الأفق طالما أثار على صفحات المجلات فنونا من الآراء الجديدة ، قبل أن يشتغل بالسياسة ، هو الدكتور محمد مندور ، وما نعتقد أن الكاتب الكبير يحتجز هذه العبقرية أو يحول بينها وبين الضوء

أدب الانقلاب

لا شك أن الأدب فى الشرق سيدخل فى البوتقة ليظهر من جديد ، فإن الانقلابات العسكرية التى وقعت فى سوريا ومصر ولبنان خلال هذه الشهور السبعة ، ستكون بعيدة الأثر فى كيان الأمة العربية

وقد كانت هذه الأمة التى تمتد على ساحل البحر الأبيض من الشام إلى مصر كانت تعيش فى مرحلة عصيبة عنيفة ، قاست فيها الظلم والظلام والإرهاق .. خلال الفترة الأخيرة التى سبقت استجابة الجيش لرغبات الشعب فى إقصاء الطغاة وإخراجهم وإقامة حكومات جديدة تنبع من روح الشعب وآماله

وقد كانت الأمة العربية فى لبنان وسوريا ومصر .. تعيش فى ذلك الشقاء ، وهى تحس بإرهاصات غروب دولة . . ، وانتهاء جيل ، و . . شروق فجر جديد

ولا شك أن ذلك الالتقاء النفسى الواضح بين الشام ومصر الذى يلتى أضواء متشابهة على التاريخ الماضى فى مختلف العهود ؛ يبشر بألوان أدبية جديدة ستظهر فى الأفق فى وقت قريب

الترجمة والشعر المنثور

ظاهرتان جديدتان ، أومتجددتان فى الأدب العربى المعاصر ، تبدوان مرة أخرى بعد أن اختفتا طويلا . . هما العود إلى الترجمة وظهور الشعر المنثور مرة أخرى

بدأت النهضة الأدبية فى أول أمرها بعد ثورة ١٩١٩ بالترجمة عن الآثار الأوربية ، وقد كان فى مقدمة روادها الزيات وطه حسين والسباعى وخليل مطران والمازنى

ثم بدأ أدب الإنشاء والنقد والبناء ، وساهم فيه هؤلاء الرواد بدور ضخم . . غير أن ظاهرة العودة إلى الترجمه بدت مرة أخرى فى أفق الحياة الفكرية واتصلت فى الأغلب بالآثار العلمية والتاريخية

وفى مقدمة الكتب المترجمة الجديدة : الوحدة الإيطالية (لبولتن كيم) الذى ترجمه الفريق طه الهاشمى ، وهيلين كيلر للأستاذ مرسى قنديل، وتطور الزراعة للأستاذ نظيف وزير زراعة سوريا

أما الظاهرة الثانية فهى « بدعة » الشعر المنثور ...

لقد عادت مرة أخرى بعد أن اختفت وقتا طويلا . . وكدنا أن ننسى هذا اللون . . ويجئ هذا التيار هذه المرة من الشام ومن لبنان بالذات ! فقد صدر فى الأسبوع الماضى ديوانان منه « أمواج » للشاعرة هند سلامة و « لن » للأستاذ ألبير أديب

ولا شك أن كتابين من لون واحد فى وقت واحد يدعو إلى التسجيل والبحث

وعقيدتى أن هذا اللون هو من أدب الترف يمكن أن يظهر فى الأمة بعد أن تستكمل أدوات قوتها وعوامل نضوجها . . ، أما الآن ونحن فى مرحلة « الثورة » . . ، وفى مواجهة الأحداث، أحداث التجديد والتغيير، والتحرير والتطهير ؛ فما أحوجنا إلى الأدب الجاد الصارم

إن الشاعرة « هند سلامة » — وكم كنت أحب أن أعرف عنوانها لأكتب لها — تثير فى نفس القارئ شعورا ، هو مزيج من القلق و . . . ، وما كان أغناها عن إثارة هذا الشعور ، فنحن نطمع فى المرأة الجديده التى تستطيع أن تنق جو حياتنا الفكرية والاجتماعية من الوساوس وأسباب القلق ! !

وهذه قطعة تخيرناها من كتاب الشاعرة « هند » وراعينا فيها أهداف الرسالة بعنوان « لولاك »

أيها القلم . .
ها أنا ذى أودع قلبك . .
واهمس فى أذنك
أسرار أحلامى الأخيرة ...
فى طباعى شذوذ
إنى أنشدك كلما ضاق صدرى بالهجوم



بلادنا فلسطين

(٢٢٩ صفحة من القطع المتوسط طبع القاهرة ١٩٤٨)

التاريخ القديم للشرق الأدنى

(٢٦٦ صفحة من القطع المتوسط طبع بيت المقدس ١٩٥١)

تأليف الأستاذ مصطفى مراد الدباغ

للأستاذ علي محمد سرطاوي

الأستاذ، مصطفى مراد الدباغ، مؤلف هذين الكتابين، المفتش في معارف حكومة فلسطين سابقا، والوكيل المساعد لوزارة المعارف الأردنية اليوم، وأحد أفراد أسرة الدباغ اليافية، التي اشتهر أفرادها بالفضل والعلم والأدب، ومنهم الشاعر المبدع المرحوم إبراهيم الدباغ في مصر، علم من أعلام المؤرخين المعاصرين، وقطب من أقطاب التربية والتعليم جمع إلى العلم الغزير، المثالية الإسلامية في أروع صورها

حصل على ثقافة عميقة الجذور في كلية المعلمين في بيروت زمن الحكم العثماني، بحكم ذكائه الذي جعله الأول على جميع الطلاب في جميع سنوات الدراسة، والتحق بالجيش، فصقلت خشونة الجندية الرجولة الفذة الكامنة فيه، وطبعته بطابع الصرامة والجد، في كل ما يتصل بنفسه وعمله من شؤون؛ والجندية كالنار، لا يخرج منها غير المعدن الصافي، والذهب الإبريز. وحين كانت الجحافل التركية تتراجع أمام جيوش الثورة العربية، التي كان يقودها المغفور له فيصل بن الحسين، في الحرب العالمية الأولى. في وهاد الأردن، وأطراف الغوطة ومرتفعات الأرز، انتقاما من وحشية الاتحاديين، متمثلة في فظاعة السفاح، الطاغية، جمال، الذي راح يطارد، في جنون السلطان المطلق، أحرار العرب، ويسوق إلى أعواد المشانق، الصفوة الممتازة من رواد الحرية في الأمة العربية، في عالية، وقد التفت حوله بطانة مجرمة من رجال السوء، والخونة المارقين في أردية الكهنوت الإسلامي، كانت تعمل في الوقت نفسه لحساب الحلفاء، راحت

وأثقلت قلبي الرزايا والمحن
فني وشوشاتك للكلمة والحرف
ما يخفف عن القلب أثقاله
وفي دبيبك على القرطاس..
ما يفك عن الصدر أغلاله..
ويحملني بعيدة
بعيدة على أجنحة الأثير
لولاك ياقلم
ما اتسعت بي الأرجاء
ولما كنت خفيفة طليقة كالنسيم
رغم نفسي المثقلة
المقيدة بأسباب الحقيقة والوجود
لولاك
ما كان لي تعزية ساعات معدودة
ولكنت سلكت مسالك الناس
وكشفت لهم عن آلامي
ولكنني لم أجد قلبا كقلبك
يتسع لسبر أغواري
وكشف حنايا نفسي
أبثك لأعلن لك أسراري
وأطرح عليك أثقالي

* * *

وبعد فأنا موقن بأن الشاعرة « هند » لو كتبت هذه القطعة على أنها لوحة نثرية لجاءت غاية في الروعة، ولكانت أقوى ألف مرة، من هذا التمزيق والتقسيم والتقطيع لأوصال الكلمات والجمل حتى يمكن أن يطلق عليها اسم الشعر المنثور.. وما أثقله من اسم

أنور الجندي

تلك الفئة التي تجرى في شرايينها معاني الرق ، تحرف كلام الله عن مواضعه إرضاء لطغيانه ، وتفتيه في خيانة أولئك الأحرار ، محللة له سفك دمائهم باسم الدين ؛ لم يكد ذلك ليتم حتى كان حاييم وايزمن ، المحاضر في جامعة منشستر يقهقه ملء رئتيه ، في عاصفة هوجاء من المرح الأرعن ، ويشرب مع أصحابه الغادرين ، نخب النصر الذي أحرزه على المغفور له الملك حسين بن علي ، بوعد بلفور

لم يكن وعد بلفور في حقيقته غير بداية الهجوم على الشرق في حرب صليبية مقنعة ، لم يكن للضمير الإنساني فيها أي نصيب ، وتضاءلت فظائع القدامى من الفاتحين أمام وحشيتها، وضراوتها ، وهمجيتها ، لكم حاولت — يشهد الله — تلك الحفنة الباسلة ، التي كان نصيبها أن تكون في خط النار الأول في معركة الهجوم الوحشي على الشرق الأدنى ، من أبناء فلسطين — أن ترسم أمام الأعين التي يغط أصحابها في سبات الغفلة العميق ، صورة الدوحة الهائلة تنبت من البذرة الصغيرة ، وأن تجسم الخطر الذي سيهدد أمن الشرق جميعه من وراء عبارات وعد بلفور المتواضعة ، ولكن كل تلك الجهود ذهبت عبثا ، ولم يكن أمامها غير الثبات إلى النهاية متحملة الخسائر في كل شيء ، مدى ثلث قرن من الصراع الرهيب بين قوى غير متكافئة ، وهي منفردة في معركة الشرف لم تتزحزح ، ولم تفرط ، حتى غلبت على أمرها ، وشردت عن أوطانها ، في مشارق الأرض ومغاربها ، بعد أن استبيحت المحارم ، وانتهكت الأعراض ، ودنست المساجد ، في عار لم تسجل صحف التاريخ مثله على أمة من الأمم ، وسيظل الذين ظاهروا عليه ، موضع اللعنة من الله ومن الأجيال المقبلة في تاريخ الأمة العربية والتاريخ الإنساني إلى يوم يبعثون

عاد (أبو عمر) إلى أرض الوطن الذي بارك الله ثراه بإسراء سيد المرسلين إلى المسجد الأقصى فيه ، فرأى أن العمل الخليق بالجندي الباسل هو التعليم ، بحكم ما فيه من شرف بالغ ، وتضحيات جسيمة ، وعمل مجيد للأمة يمد جذور حياتها إلى ثرى المستقبل

التحق بإدارة المعارف ، مديرا لثانوية الخليل ، ثم أستاذا محاضرا في كلية المعلمين بالقدس، تلك الكلية التي طافت بها نفحات قدسية قومية ساحرة من عبقرية شاعر الأمة العربية معروف الرصافي رضوان الله ورحمته عليه ، يوم أن كان أستاذا محاضرا فيها ، ثم ألحق بإدارة التفتيش وبقي فيها حتى اليوم الخامس عشر من أيار ١٩٤٨ وهو اليوم الذي انتهى فيه الانتداب البريطاني على فلسطين

كانت المشكلة التي تواجه الوطن القومي ، والتي كان يخيل للقائمين على تأسيسه أنها مستعصية الحل ، هي الحصول على الأراضي الكافية لإقامة القلاع الحربية في مظاهر متواضعة من الأكواخ البسيطة ، غير أن القدر الساخر مالبث أن جمل المشكلة بصورة عجيبة ، عن طريق انتقال صفقات هائلة من أخصب الأراضي ، قامت عليها من أزمان موغلة في القدم ، قرى ، ومزارع وفلاحون، إلى الأيدي الصهيونية ، كانت تملكها الأسر الكبيرة من غير أهل فلسطين ، تقيم في الأقطار العربية المجاورة ؛ ذلك إلى جانب الوسائل الجهنمية التي ابتدعها رئيس النيابات العامة نورمان بنتويش ، بما كان يصدره من أنظمة تعسفية وقوانين غريبة لوضع البلاد في أسوإ الأوضاع التي من شأنها أن تعجل في إقامة صرح الوطن اليهودي

وكان لا مفر لبناة الوطن القومي اليهودي من رسم مناهج التدريس في المدارس العربية الحكومية رسما بارعا ، تعين النتائج فيه على بناء ذلك الوطن ، بخلق طبقة مستغربة من العبيد ، لا تعرف مكانها من الكرامة ، ولا تاريخها المجيد في تواريخ الأمم والشعوب ، تعيش ليومها ، ضيقة الآفاق ، تعبد الغرب بدلا من الخالق ، علأ الغرور نفوسها ، ويوهن ما في ضمائرها من خلق وشرف ورجولة، طول الجري وراء أجساد الماهرات من بنات إسرائيل ؛ ولكن الله رد كيدهم إلى نحورهم ، فلم تفلح مناهجهم الآثمة في إخراج واحد من أبناء فلسطين ، على النمط الذي أرادوه

وكانت محاولة الإصلاح في جو موبوء مسموم من هذا النوع ، ضربا في حديد بارد ، ونفخا في رماد ، ولكن الأستاذ الدباغ ، رأى في تلك المناهج ، على الرغم مما فيها من فساد ، شيئا لا بأس به من الخير ؛ إذ ليس هنالك خير مطلق ، أو شر مطلق في الوجود ، وراح كالغواص البارع ، يبحث في ظلامها الدامس عن الدر والجوهر ، فوجد من ذلك ما حاول به إصلاح سوء النية في وضعها ، وراح يركز نشاطه في بيئة الفلاحين ، وفي مدارس

الريف باعتبار الفلاح الحارس الأمين على أرض الوطن التي امتزج ثراها بدماء الفاتحين من خير أمة أخرجت للناس، وكان يهيب بضمائر الملمين ، ويبيح لهم التحلل من القيود المنهجية في الحد الذي يبصره الضمير القوى من حذف أو زيادة أو تغيير ، وأن تركز المسائل الحسابية على شراء الأرض ، وأن لا يجرى بيعها على لسان أبدا

وظهر في هذه الفترة كتابه (في القرية) ، ويدعو فيه إلى تركيز القوى للنهوض بالفلاحين ، وتوفير ما يكفي من الخدمات الصحية والتعليمية لرفع مستواهم ، وتوفير عدالة اجتماعية في الحدود الممكنة

وأدرك السير (آرثر واكهوب) المندوب السامي على فلسطين آنذاك ، والذي كان يتظاهر بصداقة الفلاحين ، ويكثر من زيارتهم ، والحفاوة بهم ، على الرغم من دخول أكبر عدد من المهاجرين أيام حكمه ، وكأنما كان يمثل دور الصياد الذي يبكي وهو يذبح العصافير في القصة المشهورة ؛ أدرك ذلك الداهية الأريب والجندي المدرب ؛ وكان رجلا ، قدر المؤلف الرجل ، وقدر صدق وطنيته — وكان للسير واكهوب ضمير إنساني حساس ، يختلف عن ضميره الرسمي — فبعث إليه بكتاب يطفح بالشكر ، وينوه بمجهوده نحو إصلاح القرية ، ويطلب إليه المزيد من العناية ، ويبارك عمله المجيد

* * *

من أبرز ما يمتاز به (أبو عمر) ، الأستاذ الدباغ ، إحساس عجيب يسبق الزمن ، وما يجرى وراءه من أحداث ، أو ما قد تتمخض عنه تلك الأحداث من مفاجئات ونتائج . ومن مظاهر ذلك الإحساس انكبابه على تأليف موسوعة تاريخية في هذه الفترة أطلق عليها اسم (بلادنا فلسطين) . وكأنما ألقى إليه من وراء الغيب ، أو أدرك بحاسة سادسة عجيبة ، أن أحداثا جساما في طريقها إلى تلك البلاد ، تأكل الأخضر واليابس ، وتمحو من سجل الوجود مدنا وقرى بأسرها ، وتشرد أهلها

وقد كانت طريقته في تأليف تلك الموسوعة السير من المعلوم إلى المجهول . كان يسائل المعمرين عما يعرفون من تاريخ قراهم أو مدنهم ، وأنسابهم ، وكل ما يتصل بماضيهم من شؤون وشجون ، حتى إذا ما دون أقوالهم ، انقلب إلى مكتبة غنية بالمصادر أنفق جهدا ومالا في سبيلها ، يراجع وينقب ، حتى يصل إلى بعض الحقائق فيما لديه من أقوال . قد يرفضها كلها ، وقد يحذف بعضها ، وقد يزيد عليها ، وقد يدفعه البحث والتدقيق ، عن حقيقة من الحقائق ، إلى السفر من مدينة إلى أخرى ، أو إلى قطر مجاور ، حتى إذا فرغ من الأساس التاريخي لبحثه عن تلك القرية أو المدينة ، انصرف إلى البحث عن الحاضر ، وهو أمر ميسور تبرع لمعاونته عليه عدد كبير من المعلمين والموظفين في مختلف الإدارات الحكومية ، فكانوا يجمعون الإحصاءات المفصلة من التقارير الرسمية ، أو يحصون بأنفسهم ، وبمساعدة أهل القرى ، مالا يدخل في تلك التقارير ؛ فتجمع لديه من كل ذلك معلومات دقيقة عن عدد السكان ، ومقدار الذكور والإناث ، وعدد المتعلمين ، ونوع التعليم ومستواه ، وعدد المدارس والطلاب والمعلمين ، وأنواع المحاصيل ، وعدد أشجار الفاكهة ، والمساحات التي تزرع بأنواع المزروعات ، وعدد الحيوانات ، والبيوت ، والمساجد ، إلى آخر ما هنالك من التفاصيل التي لم يسبق أن استعملها مؤرخ سابق على هذا النوع الدقيق من الأسلوب العلمي المضني الذي ينوء به الفرد ولا يقوى عليه

وتقع هذه الموسوعة في عدة مجلدات ضخمة ، تولت مكتبة الطاهر إخوان عام ١٩٤٧ طبع الجزء الأول — القسم الأول ، منه في مطابع دار التوزيع والطباعة والنشر في القاهرة — وتشاء الصدف العجيبة أن يخرج هذا الجزء في شهر أيار من تلك السنة ، وهو الشهر الذي انتهى في منتصفه بعد عام واحد (١٩٤٨) الانتداب البريطاني على فلسطين

يقول الأستاذ الدباغ في المقدمة : (هذه البلاد عربية منذ آلاف السنين ، وأول من عرف من سكانها الموجات العربية الأولى التي نزلتها ، وقد قدستها الأديان العظيمة التي تدعو لخير البشرية ...

اجتهدت في إخراج هذا الكتاب في أجزاء عدة ، وجعلت بحثه يشمل تاريخ كل مدينة وبلدة ، وتاريخ ما تمكنت من الوصول إليه من القرى ، والمزارع ، والأنهر ، مع وصف الحالة الحاضرة في كل منها

وقد رأيت أن البحث لا يستوفى مالم يشتمل على المهم من التاريخ العام للقطر الفلسطيني ، فقسمت هذا البحث على الأجزاء جميعها ، بحيث لا يفرغ القارئ منها إلا ويكون لديه سفر تاريخي لهذه البلاد منذ أقدم الأزمنة إلى قبيل الوقت الحاضر ...

يبحث الجزء الأول من هذا الكتاب عن تاريخ القطر الفلسطيني ، منذ فجر التاريخ إلى انقسام المملكة اليهودية ، وعن تاريخ مدن وقرى وقبائل بلاد نابلس

وسيتناول الجزء الثاني البحث عن غزة والسبع ، وقراها وقبائلها ، كما أن البحث فى الجزء الثالث سيدور عن يافا والرملة واللد وجوارها

وأرجو المولى أن يوفقنى لإتمام البحث عن المناطق الأخرى من فلسطين

ثم تجهمت أحداث الزمن ، وتوالت النكبات بسرعة فأوقف طبع الأقسام التالية من الجزء الأول ؛ وليت الأمر وقف عند هذا الحد ! بل تعداه إلى خسارة فادحة بفقدان الأجزاء التي لم تطبع من الكتاب ، حين كان الأستاذ الدباغ ضمن آخر جماعات أرغمت على مغادرة يافا فى باخرة رأى ربانها إلقاء عدد من الحقائب من حمولتها إلى مياه البحر ، وكانت الحقائب التى تحمل ذلك الكنز الثمين من بينها . وكأن القدر أراد أن لايبقى كتاب يتحدث عن بلاد ذهبت وذهب أهلها

لقد أورد الأستاذ مقتبسات من الأحاديث النبوية فى الفصل الأول جاء فيها

١ — عن معاذ قال : قال رسول الله (ص) : (يامعاذ . . إن الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدى من العريش إلى الفرات فمن اختار منكم ساحلا من سواحل الشام أو بيت المقدس فهو فى جهاد إلى يوم القيامة)

٢ — عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله (ص) (يجند الناس أجنادا ؛ لجندا بالشام ، وجندا باليمن ، وجندا بالعراق ، وجندا بالمشرق ، وجندا بالمغرب ، فقلت يارسول الله ، إنى رجل حديث السن ، فإن أدركت ذلك الزمان فأيها تأمرنى يارسول الله ؟ فقال : عليك بالشام فإنها صفوة الله فى أرضه ، يسوق إليها صفوته من خلقه)

٣ — روى المشرف بسنده عن كعب قال : (أحب البلاد إلى الله الشام ، وأحب الشام إلى الله تعالى القدس ، وأحب القدس إلى الله تعالى جبل نابلس ، ليأتين على الناس زمان يتماسحونه بالحبال بينهم) صدق رسول الله فقد جاء ذلك الزمان

« ومن المصادفات العجيبة أن صلاح الدين الأيوبى ، تسلم القدس من الفرنج يوم الجمعة فى السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣ هجرية أى فى ليلة المعراج المنصوص عليها فى القرآن الكريم ، وهذا اتفاق عجيب ، فقد يسر الله بأن تعود القدس إلى أصحابها فى مثل زمان الإسراء بالنبى الكريم (ص)) [1] ترى من هو القائد العربى المظيم الذى أعدته قدرة الله لشرف إعادة القدس من الصهيونيين ؟

أما كتاب الأستاذ الثانى (التاريخ القديم للشرق الأدنى) فهو تلك القصة الخالدة من الصراع الدائم فى تاريخ الحضارة ، يتابع المؤلف أحداثها فى وصف تاريخ ولفتات رائعة تدل على فهم لما وراء حوادث التاريخ ، من عصر إلى عصر ، عبر الزمن الغابر البعيد ، والإنسان هو الإنسان لا يتغير ولا يتبدل . لقد كان الشرق الأدنى ولا يزال ، مقابر الفاتحين ، فى جميع عصور التاريخ ، والجسر الذى عبرت فوقه موجات الحضارة ، وموجات الفتح ؛ ولم يعرف الزمان تاريخا معقدا مثقلا بالحوادث الجسام كتاريخ هذا الجزء المتعب من العالم ، يتصارع الأمم على وفرة خيراته وطيب مناخه ، وموقعه الطبيعى الاستراتيجى وهو يربط أجزاء القارات الثلاث المظيمة

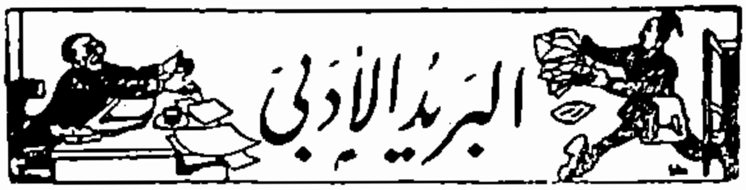
يقول الأستاذ فى مقدمة كتابه : (هذا كتاب وضعته لطلاب المدارس الثانوية ، وللطلاب الذين يستعدون لامتحان الاجتياز إلى التعليم العالى ، إلا أن القراء عامة ، فى وسعهم أن يستفيدوا منه ، إذ يطلعون فيه على صفحة من تاريخ الشرق العربى فى العصور القديمة ، وقد تبسطت فى الكلام عن تاريخ بلاد الشام وعلى الأخص تاريخ القسم الجنوبى منها ، وهو القسم الذى يعرف الآن باسم « المملكة الأردنية الهاشمية » ، وكان يسمى قبلا « فلسطين وشرق الأردن » وهذا البحث ، على ما أعلم ، لم يتعرض

(١) بلادنا فلسطين ١ ، ١٥

له أحد من المؤرخين على هذا الوجه)

وبعد، فلقد أطلت الحديث لقراء الرسالة الغراء، عن هـذا الجندى، الذى طالما أبى عليه تواضعه إلا أن يظل مجهولا، وأنا شديد الإيمان بأننا أحوج ماتكون إلى رجال من هذا الطراز يكونون مثلنا الأعلى فى الحياة الجديدة الكريمة المقبلة التى تليق بكرامة الإنسان وهو يخطو على الصراط المستقيم الذى أقامته يد السماء، ليكون طريقه على ثرى الأرض، وهو يعبر إلى الطرف الآخر، المتوارى فى ضباب الغيب، فى ركب الحياة.

على محمد سرطاوى



هل كان الزهاوى فيلسوفا ؟

نشرت الرسالة بالعدد (١٠٠٣) هذا المقال الموجز، وقد لاحظت أن المطبعة قد أسقطت سطراً بتمامه، فاضطرب المعنى، تبعا لذلك، وإنى أعيد القول من جديد، ليزول الاشتباه :

« ومن البديهى أن الفلسفة لم تكن مرة واحدة علما دقيقا متين القواعد والأصول، ولكنها مرت بدور الطفولة والصبا — كما يقول الأستاذ مهدى علام — فى أساطير القصاص وشعر الشعراء وأقوال الحكماء »

فلعل القراء يلتفتون إلى هذا التصحيح السريع

محمد رجب البيومى

تحت منظار النقد

ألقى الأستاذ محمود جبر فى الحفل الذى أقامته جماعة الشبان المسلمين بمناسبة الهجرة النبوية الشريفة قصيدة ميمية جاء فيها تنديدا عن نسبوا الملك السابق فاروق إلى الحسين :

يا منبع الطهر قد نسبوا إليك فتى من غير حق تحارت فيه أفهام

والبيت من البحر البسيط وهو مكسور فى الشطر الأول لأن السين فى (نسبوا) كان يجب أن تكون ساكنة لا متحركة

وكم ضحكت كثيراً حينما سمعت التصفيق الشديد لهذا البيت !

شبرا النملة **عبد اللطيف محمود الصعيدى**

المسابقات الأدبية لمجمع فؤاد الأول للغة العربية

إلحاقا بما سبق أن أعلنه المجمع عن جوائزه لتشجيع الإنتاج الأدبى سنة ١٩٥٢ / ١٩٥٣ وبعد صدور قانون ميزانية سنة ١٩٥٢ / ١٩٥٣ يعلن المجمع أن الجوائز التى سبق الإعلان عنها خفضت قيمة كل واحدة منها من مائتى جنيه إلى خمسة وعشرين ومائة جنيه

أسبوع رعاية مشوهى الحرب ومساعدة أبناء الشهداء

المشروع

أولا — خلق وعي قومى يقدس التضحيات التى بذلها مشوهو الحرب والشهداء وتخليد فدائيتهم ووضعهم فى المقام اللائق بهم

ثانيا — بذل كل المساعدات المادية والأدبية

(ا) عمل تخفيض دائم من المتاجر والبيوت المالية والشركات والأطباء والصيدليات وغيرها لمشوهى الحرب وعائلات الشهداء

(ب) منحهم إعانات مالية لتسوية حالاتهم المضطربة

مقومات المشروع

أولا — جمع تبرعات

(ا) بصناديق تعد بمعرفة مصلحة الخدمات الاجتماعية فى جميع أنحاء البلاد مختومة بخاتم الوزارة، وتفتح بمعرفة لجنة مشتركة من الوزارة والجمعية

(ب) فتح باب الاكتتاب والتبرعات لمشروعات الجمعية من الأثرياء والكبراء . على أن يتطوع حضرات أعضاء الجمعية يساعدهم لفيف من الطالبات والطلبة وذوى المروءة للتطوعين لمؤازرة هذه الرسالة النبيلة

ثانيا — توزيع مليون طابع باسم (أسبوع مشوهى الحرب)

من فئة القرش صاغ ويكون توزيعها كالآتى : —
بمعرفة المتطوعين من أعضاء الجمعية وأصدقائهم
دور السينما والمسارح
مكاتب البريد والتلغراف
محطات السكك الحديد
المحلات التجارية والشركات والبنوك وغيرها

ثالثا — تخصيص يوم السبت أول نوفمبر ١٩٥٢ ليكون (يوم السينما) على أن ترصد إيرادات الحفلة المسائية من التاسعة مساء لمشروع رعاية مشوهى الحرب ومساعدة أبناء الشهداء

رابعا — إقامة حفلات موسيقية وغنائية يساهم فى إحيائها مشاهير المطربين والموسيقيين يخصص ريعها لمشوهى الحرب

خامسا — فتح باب قبول الهبات العينية من الملابس والأقمشة والأحذية وخلافها من الحاجيات ، وما يفيض عن حاجة ذوى البر والمروءة ، على أن ترسل إلى مقر الجمعية ويسلم عنها إيصالات توطئة لتوزيعها على المشوهين وعائلات الشهداء

وسائل تنفيذ المشروع

أولا — الرسوم الرمزية

إقامة مسابقة بين رسامى الكاريكاتير وغيرهم لتصميم رسم رمزى يهدف إلى الفكرة السامية التى تطويها رسالة الجمعية ويدعو إلى مؤازرة مشروعاتها النبيلة ويكون وسيلة صالحة للدعاية عن أعمالهـــا

ويمنح الفائز الأول والخمسة الآخرين (الأوائل) جوائز ثمينة ويطبع الرسم الرمزى الفائز ويوزع بكميـــات كبيرة فى أنحاء القطر

ثانيا : — إخراج أفلام سينمائية قصيرة

تدعو إلى معاضدة الجمعيـة وتشيد ببطولة مشوهى الحرب والشهداء ، وتدعو إلى تخليد ذكراهم وتيسير وسائل الحياة السعيدة لهم ، على أن تعرض فى جميع دور السينما لشايعة أغراض الجمعية وتحقيق أهدافها السامية

ثالثا : — الإذاعة اللاسلكية

إذاعة أحاديث دورية عن الجمعية ورسالتها ، وبطولة مشوهى الحرب والشهداء ، وما ينبغى عمله لهم ولذويهم من مساعدات ومعاونات

أحمد توفيق

منقذ فلسطين

كتب الأستاذ محمد رجب البيومى عن مسرحية منقذ فلسطين ، التى أخرجها الأستاذ عبد الرحمن البنا ، وقد أعجبنى ما كتبه ، والواقع أننى حضرت القصة عندما أخرجت على مسرح الأوبرا ليلة ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٨ ، وهى نفس الليلة التى دخل فيها جيش مصر الباسل فلسطين ، فأعجبت بها وهزتنى من الأعماق ..

وكنت قد حضرت للأستاذ البنا مسرحيات أخرى من هذا النوع الإسلامى ، الذى يحرص على إبعاد عنصر المرأة عنه ، ومع ذلك فقد كانت هذه الروايات لا تفقد قوتها ولا جلالها .

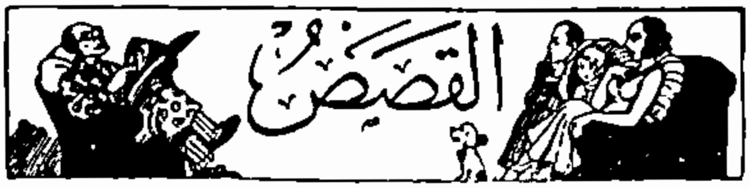
وقد سمعت من الأستاذ عبد الرحمن أن الأستاذ زكى طليمات قد أبدى إعجابا لا حد له بهذه المسرحيات الإسلامية ، وقال إن هذا اللون ناجح ولا شك ، وأن قوة المعانى والصور والمواقف فيه ، لا تكشف النقص الذى يمكن أن يأتى من إبعاد عنصر المرأة عنه

(أنور)

غيظ

إن البلاد إذا شاع الفساد بها
وأصبح اللؤم فيها خلة الناس
وأسفر البغى يقضى فى سياسته
مصعر الخد مخفورا بحراس
لم يبق للحر إلا الغيظ يكظمه
بين الضلوع وإن ضاقت بأنفاس

محمود عبد السيد حمزة



صديق جـــديد

عن مجلة « ترو ستورى »

تطلعت من السيارة التى كنت أعمل فيها إلى أعلى ، فوجدت — مانى بيترز — وعلى شفتيه ابتسامة بريئة ، غير أن عينيه الزرقاوين — فى هذه المرة — كانتا تشعان ببريق غريب

خالط عقله مس منذ أن كان فى العاشرة من عمره ، حينما حدث أن أصابه أحد رفقائه — دون قصد بحجر . ومما يحز فى نفسى أن أقول إننى كنت أكرهه بكل ما فى هذه الكلمة من معان ، وإن كنت أدعه يعبث بأدوات السيارة التى وضعتها فى « جراج » بمدينة « جيرسى الجديدة » وذلك لمعرفتى أن جنونه من نوع غير خطر ، وأنه محتاج إلى كل ما يمكن أن يتسلى به ، ولكنه أهاجنى اليوم أكثر من أى يوم سبق ، فقد قضيت عشر دقائق فى البحث عن أداة احتجت إليها لعمل مستعجل

تذكرت أن « مانى » أمعن فى العبث أمس — كما يفعل غالبا — فكان السبب فى هذا التأخير ، فأخذت ألعن الظروف التى خلقت لى مثل هذا المأزق الحرج ، وأخيرا وجدتها

يستطيع الحدادون أن يقسموا على أن شيئا لا يزعجهم مثل اختلاف مواضع الآلات التى يضعونها فى أماكنها

لم أقل لـ « مانى » شيئا ، إذ أعرف أن نتيجة ذلك ستكون سيئة ، وأنه لا يمكنه أن يفهم حقيقة الموقف ؛ وإن فهم فلا يمكنه أن يتذكر ذلك إلا لمدة خمس دقائق . أقنعت نفسى بالتغافل عن أعماله ، وأن أستمر على عملى ، ولكن نيران الحقد ولهيب الكراهية ، جعلا منى مرجلا ثائرا

نظرت إلى يدى القويتين ، وأحببت أن أداعب بهما رأس من تسول له نفسه العبث بأشياء تخصنى ، أما أن يكون هذا الشخص « مانى » فإننى لا أستطيع حتى رفعهما

مضيت فى عملى وأنا جد متعجب من سكان القرية . ترى ما الذى جعل « مانى » محبوبا منهم ، وأنا أحمل له من البغض والكراهية ما ينوء تحتهما كاهلى ! وطبعا لم يكن الذنب ذنبه ، أحبه الناس أم لم يحبوه ، وشعورى بالكراهية له ناجم عن عدم الإكبار للرجال الضعفاء وغير المرغوب فيهم ، كرهى لكل عضو لا يقوم بعمله تمام القيام

تحملت منه ما لم يتحمله أهل القرية الألمانيون الذين قدت قلوبهم من الصخر ، لا يعرفون قويا ولا يرحمون ضعيفا ، وحتى له لم يكن إلا شفقة عليه ورثاء له

انتهيت من عملى ، ولم أنتبه للشخص الشرئب بعنقه ليرى ما أعمل ، مما سبب اصطدامى به ، وبعدها ألفيتنى محملقا فيه . أما هذا الشخص فكان « مانى »

تملكنى الغضب الشديد ، فصحت به : بالله ماذا جاء بك إلى هنا ؟

ودفعته دفعة قوية لأزيحه عن طريق

فترنح إلى الخلف بمجرد اختلال توازنه ، وغارت عيناه الزرقاوان فى محجريهما متعجبتين سائلتين ، ولم أكن رأيتهما على هذه الحالة من قبل

ثم اصطدم ببعض آلات مبعثرة هنا وهناك ، وسقط سقطة أفقدته الرشد

زاغت عيناى واشتد بى الخوف ، وأحسست بفيض من العواطف يدفعنى إلى مساعدته على القيام . وفجاءة ، رأيتنى مادا إليه يدى أساعده على النهوض

شعرت وأنا أنحنى إلى الأسفل أن يدى قد بلتا ، ونظرت إلى الأسفل فرأيت قطرات حرا على الأرض على بعد ست وثلاثين عقدة منى

حينئذ عرفت أن رأسه قد أصيب ببعض أدوات سببت شج رأسه ، فظننت أنه مات ، ولكننى شاهدت صدره يعلو ويهبط فعرفت أنه لم يفارق الحياة . لم أعر ذلك اهتماماً بادئ ذى بدء ، وطمأنت نفسى بأنه لن يلبث أن يستفيق . وبرغم ما كنت

أتظاهر به من الهدوء ، كنت معتقداً أن إصابته خطيرة . سرت نحو التليفون وطلبت الطبيب قائلا : أصيب مانى بيترز — بحادث خطير فأرجو أن تأتى بسرعة . وعلقت « السماعة » ورجعت إلى — مانى — أسائل نفسى ماذا يمكننى عمله حتى يصل الطبيب . استطعت أن أقف النزيف ، ولكننى لم أعرف ما يجب أن أعمله أيضاً . وهكذا جلست إلى جانبه منتظرا مجئ الطبيب ، محاولا جهدى ألا أفكر فيما سبب هذه الحادثة

جاء الطبيب فى وقت مناسب ومعه خمسة رجال من أهالى القرية ممن أعرفهم . لقد كانوا فى بيت الطبيب ساعة أن أخبرته عما حدث . ولما سمعوا ما قاله الطبيب عن « مانى » أتوا معه ليعرفوا حقيقة ما حدث

وكما قلت قبلا إن أهل القرية جميعهم يحبون « مانى » ما عداى فتأثروا لما أصابه

لم ينبس أحدنا ببنت شفة ، حتى فرغ الطبيب من الفحص ، فرفع إلينا وجهاً ممتقعاً ، فكان ذلك جواباً كافياً وفر على السؤال تكلم بهدوء قائلا : إن إصابته خطرة جدا ، فليخبر أحدكم مستشفى « آردين » ليرسلوا نقالة لحمله . ثم التفت وسألنى عن كيفية وقوع الحادثة فأخبرته بما حدث ، فأومأ برأسه فاهماً

غير أنى لاحظت الخمسة الآخرين ينظرون إلى مستغربين ، ورأيت واحدا أو اثنين — لا أتذكر — ينظر إلى متشككا

عشر دقائق مؤلمات مرت قبل أن تصل النقالة . ولم تمض دقيقة أخرى حتى كان الطبيب ومانى فى الطريق إلى مستشفى « آردين »

شعرت بحمى خفيفة ، وذهبت إلى حيث أستطيع أن أتنفس ، لأن هواء « الجراج » يكاد يخنقنى . وقبل أن أصل إلى حيث أردت ، سمعت قائلا يقول : فيلد ، دقيقة من فضلك ، لا يمكننى أن أدعك تذهب الآن

فالتفت قائلا : ولم ذلك يا جاك ؟ ألم تصدق ما أخبرت الطبيب به ؟

وظهر فى هذه اللحظة الأربعة الآخرون

— لا ، لا ، إن أحدا لم يصدق ذلك لما نعرف من مبلغ حقدك على « مانى »

تملكنى غضب مفاجئ . إنهم يظنون أننى فعلت ما فعلت عن عمد وإصرار

ظننتنى قادراً على إقناعهم بادئ الأمر بأن ما حدث لم يكن إلا مصادفة سيئة ، أما الآن فإن ذلك لا يزيد مركزى إلا حرجاً

انثنيت إلى جاك قائلا : تظننى حاولت قتل مانى ؟ أليس كذلك ؟ ! حسن ، ظن ماشئت ، فلست أبالى . والآن تفضل بالخروج وإلا أصابك ما لا يرضيك

فكان جوابه أن رفع يده وضربنى بقوة ، إلا أننى تحاشيت ضربته بحركة خفيفة من رأسى ، فاستدار حول نفسه وسقط على الأرض يتدحرج

فلما رأى الأربعة الآخرون ما حل بصاحبهم هجموا على دفعة واحدة كالذئاب الكاسرة يريدون تمزيقى . وسمعت « لودين » يقول : آه … هل تقدر أن تفعل بنا ما فعلت بمانى . إيه ؟ حسن ، إنك لا تقدر . إننا لا نتصارع من أجل جائزة كما تفعل ، ولكننا سنلقى عليك درسا لن تنساه مدى الحياة

ذافعت عن نفسى دفاع المستميت ، ولكن ما حيلتى إزاء خمسة رجال أشداء ؟ نعم أسقطت اثنين منهم ولكن الباقين تمكنوا منى وضربونى ضرباً مبرحاً . وأخيراً وجدتنى ممدداً على الأرض مشرفاً على الإغماء

أذكر أنى سمعت « لودين » يتكلم بالتليفون طالباً نقالة أخرى ، وبعدها لم أكد أفقه شيئا مما يدور حولى ، إذ أن الإغماء غلبنى

فلما أفقت رأيتنى على سرير أبيض من أسرة المرضى ، ثم رأيت ممرضة منحنية فوق وكان إلى جانبها طبيب فعرفت أننى فى المستشفى . سأل الطبيب الممرضة عن حالى ، فأجابته أننى أحسن من ذى قبل . ثم التفت إلى مستفهما : ما الذى حدث ؟ !

فأجبته بصوت ضعيف : تشاجرت . ثم سألت : هل كسر شئ ؟ !

فقال الطبيب مغمغما : تشاجرت ؟ وتابع فرحا : آه ، لا ، لم يحدث شئ مما تعنى ، إنما كل ماهنالك رضوض لن تلبث أن تزول آلامها فيمكنك أن تخرج بعد يومين . ثم انصرف

أردت أن أسأل عن « مانى » ولكن حالتى كانت من الضعف بحيث لم أستطع معها أن أتكلم . سرى بى التفكير إلى الرجال الذين أشبعونى ضرباً . ومن الغريب أننى لم أشعر نحوهم بذرة من الحقد ، وكأن ما حدث لم يكن إلا خيالات وأوهاماً

غير أننى سعيد ، سعيد لأن عظامى لم يصبها عطب ، وإلا لكانت الدنيا لدى أضيق من سم الخياط . وأدركت أخيراً أن عملى كان جنونيا . ترى من يصدقنى إذا قلت إننى دفعت « مانى » دفعة لم أبغ من جرائها قتله ؟ !

وفجأة وثب إلى ذهنى خاطر أذهلنى ، واصطكت أسنانى رعبا ، وهو ما سيكون شأن الشرط معى إن … إن هو مات ؟ !

انقبض صدرى لهذا الخاطر المروع ، وكدت أصيح بكل مافى حنجرتى من قوة . والفضل فى إنقاذى من هذا الموقف للمرضة التى دخلت فى تلك اللحظة فأزمعت سؤالها عن مانى ، قلت :

— إن لى زميلا هنا اسمه « مانى بيترز » كيف حاله ؟

فأجابتنى بصوت هادئ :

— إنه فى حالة سيئة ، وإنه الآن فى غرفة الجراحة لإجراء عملية جراحية خطيرة

فسألتها بلهفة :

— هل تدعيننى أذهب لأرى مايعملون ؟

ففغرت فاها متعجبة ، ولكنها لم تلبث أن استعادت ثباتها وتعهدت بأنها ستفعل ، وتركتنى وانصرفت

قضيت مدة أتقلب على فراش الألم خائفا مذعوراً مما سيحدث لى ولمانى . لم أكن أشكو فى ذلك اليوم من شئ ، غير أننى كنت منزعجاً مما سيحدث لى

وفى ذلك المساء أقبلت المرضة قائلة :

— إن الأمل فى نجاح العملية كبير جدا ، ولو أنهم لم يخبروا أحدا ، وإننا سنعرف عنها فى الصباح كثيرا

كنت أريدها أن تقول إنه سيعود كما كان دون أن يكون فى قولها هذا ذرة من الشك . لذا بقيت فى حيرة من أمرى ، مما أثر فى حالتى وأخر شفائى

وفى صباح اليوم التالى رأيت المرضة مبكرة على غير عادتها ، فأحسست أن دقات قلبى توقفت ، وأن الدم قد جمد فى شرايينى . وتمثل أمامى بعين الخيال مانى ممددا على السرير جثة هامدة . ياله من منظر مخيف تقشعر منه الأبدان ! وسألتها : ماهذه الضوضاء ؟ هل هو مانى ! هل … هل مات ؟

— لا ، ولكنه يسير من سئ إلى أسوأ ، وقد سأل عنك ، فهل فى استطاعتك أن تذهب إليه ؟

لم أجبها عن سؤالها ، بل أسرعت فى إلقاء الأغطية عنى ، وحاولت القيام فلم تسعفنى أعضائى المنحطة ، فجلست على مضض حاولت أن أسترد قوتى ، غير أن رأسى كاد ينفجر فأسرعت المرضة نحوى ، ومددتنى على السرير بهدوء ، ثم قالت بقلق ظاهر : سآتى بنقالة لحملك ، فأخبرتها أننى قادر على المشى على قدمى ، إذا هى ساعدتنى . ففعلت ، ووصلنا إلى غرفة « مانى »

انحنيت فوقه ، وسألته عن حاله ، فأجابنى ، وفى عينيه تلك النظرة البريئة الطاهرة : إن رأسى يكاد ينفجر ، ولكننى أحببت أن أراك حين علمت أنك أصبت أنت أيضا ، ورغبت أن أراك سليما معافى

شعرت بالدموع تجرى على خدى حارة غزيرة . يمكن أن يكون معتوها ، ولكننى لم أر قلبا بريئا طاهرا مثل قلبه

عرفت أنه لم يتذكر ما فعلته به ، ولا كيف كنت أعامله دائما وشعرت لأول مرة فى حياتى منذ أن كنت طفلا ، بشوق إلى الصلاة ، فأخذت أصلى ، وأصلى بحرارة . صليت وابتهلت إلى الله ، من أجل — مانى — ليشفى ، ولأستطيع أن أدعه فى « الجراج » . وكأن دعائى أجيب ، إذ أن — مانى — ترك المستشفى بعد شهر منذ دخوله وقد عاد كما كان لم يتغير

إنه الآن يقضى جميع أوقاته إلى جانبى فى الجراج ، وإنه لم يعد يحدث لى المتاعب . إننى أرغب أن يكون دائما هناك ، لأنه نزيل وحشتى فى وحدتى ، وقد جعلنى أشعر بالشفقة والحنان لكل من يكون مفتقرا إليهما

ع ب

! ؟ !

* قال الشاعر الألمانى جوته لصديقه أكيرمان *

* كل امرئ يأتى عليه حين من *

* دهره يظن فيه أن آلام *

* فرتر إنما كتبت *

* له خاصة *

(الطبعة الثامنة)

(الثمن ٢٥ قرشاً)

آلام فرتر

للأستاذ أحمد حسن الزيات

هى القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف «جوته» الألمانى

مطبعة الرسالة